تخمة الشرق العربي

لكل عنصر نفسية ومزاج وحس فما يصح في عصر لا يصح في سواه لان ما هضمه القرن الغابر مثلاً ، لا يستطيع القرن الحاضر ان يهضمه ما دام مجرى الحوادث الكبيرة هو الذي يهيء عملية الهضم ، كما يؤلف النفسية والمزاج والحس.
ولا نعني بالحوادث الكبيرة تلك الحروب والانقلابات السياسية والثورات الاجتماعية فقط ، بل نعني ايضاً فتوحات الفكر والعلم.

والعلم سيظل مسيطراً على مجرى التاريخ شئنا ام ابينا وهو وحده الذي يقود الشعوب ويصنف للعصر نفسيته وحسه ومزاجه في الدرجة الاولى.

كان النصر في الحروب الغابرة موقوفاً على القوة البدنية ، فأصبح اليوم موقوفاً على القوة العلمية التي هي وحدها ترجح الكفة.
ومعركتنا في فلسطين ، كانت معركة بين العلم والجهل معركة بين القديم والحديث ، فجمعنا كل ما لدينا من أصناف الاسلحة القديمة وكان في طليعتها تلك العقلية الرجعية الجامدة العقلية الاتكالية ، العقلية اللاوعية التي ترتجل اعمالها ارتجالا وتتخبط فيها تخبطاً يزيد في أساها اسى ونكبتها نكبة ، واضفنا الى هذه العقلية كل ما عندنا من المخدرات الروحية والفكرية والادبية

وجهز اعداؤنا كل ما لديهم من اصناف القوى الحديثة ، وفي طليعتها العقلية المتحررة التقدمية ، العقلية الواعية التي رأت النور في العلم فاقتبسته وقارعت به الخصوم ، فانتصرت ، لان ذرة من العلم تفوق العدد والكثرة في ظل عقلية جامدة سطت عليها المخدرات الروحية.

واشقى الشعوب ، شعب يتجاهل نفسية العصر ومزاجه وحسه ويتعامى عن فتوحاته الفكرية والاجتماعية والعلمية.
شعب يتجاهل الواقع المحسوس وينزوي في ظلمة نفسيات العصور القديمة ، وما اشبه هذا الشعب بالنعامة الغبية التي تعمد الى الرمل فتخبيء رأسها فيه عندما تشعر بدنو الصياد ، كأنها اذا اغمضت عينيها فما رأته ، لا يطاردها ولا يراها . .

في شرقنا العربي ، شعوب كثيرة هي اسوء الحظ ، تتشبه بهذه النعامة وتقتفي آثارها بدلاً من ان تتحسس نفسية العصر وتفتح عينيها على نور هذه النفسية التي هي ابنة العلم ، ابنة مجرى الحوادث المؤثرة في التاريخ البشري والفكر البشري

والشرق العربي يأبى ان يتجرع العلاج مع شدة حاجته الى الدواء ، ويأبى العملية الجراحية الشافية ، لانه يرى في المخدرات الروحية والفكرية خير دواء وانجع علاج.

ولكن العلم يعظنا ويقول ان المخدر اذا خفف الالم الى حين ، فهو لا يشفي وان يشفي ، بل يزيد الداء شراً ووبالا.
لقد اتخم الشرق العربي بالمخدرات الروحية والفكرية والادبية التي عالجوه بها لدرء الالحاد والدهرية ومادية الشيوعية.
والالحاد ان نتعامى عن النور وان نتجاهل الحق ، وان نطفىء الشعلة الفكرية التي هي قبس من النور الالهي.
والدهرية ان نضع المخدرات الروحية فوق العلم وفوق الفكر ، وفوق كلمة الحق والحياة.

والشرق العربي لن يفيق من سباته الطويل ، ولن يستيقظ من جاثومه الخانق ، ما دام يلجأ الى هذه المخدرات الروحية الفكرية كلما شعر بضعف وعياء ، فيتناولها جرعات كبيرة ويزداد ضعفاً وعياء ، وعندئذ يسهل على الصياد مطاردة الفريسة المتخدرة.
ان ادمان المخدرات الروحية كادمان الخمور والمواد السامة ، يبعد عن الله والحياة ، فهلّا اتقى الله تجار المخدرات الروحية.
عندنا يا شعوب الارض مخدرات روحية ، ومخدرات فكرية ، ومخدرات اجتماعية ، فاشتروها لوجه الله وبيعونا بها طيارات ودبابات ، بيعونا بها معارف واختراعات . عندنا مخدرات روحية ، وعقاقير دينية . عندنا رقيات وتعاويذ فبيعونا بها طبيعيات ورياضيات.
عندنا طلسمات ، فبيعونا بها زراعات وصناعات . وعندنا اكداس مكدسة من الترهات والسخافات والخرافات ، فاشتروها منا وبيعونا بها علوم الكيمياء والهندسة والكهرباء . لدينا يا شعوب الارض ثروة طائلة من المخدرات الروحية والعقاقير الدينية والطلسمات الاجتماعية والوطنية والادبية ، فتعالوا نشاطركم هذه الثروة التي نقلت الاجيال بحشدها وخلفتها تراثاً اثقل ظهورنا وقعد بنا عن السير في طريق الحياة والمجد.
عندنا عقاقير دينية ، فبيعونا بها عقاقير طبية . . .

سان باولو - البرازيل

نظير زيتون

نساء في الليل

بقلم امين يوسف غراب

☆☆☆

كنت اذ ذاك اربح من صوري ولوحاتي الفنية التي ارسمها ، مبلغاً ضئيلاً، لا يتجاوز العشرة الجنيهات، ابعث منها باثنين لامي التي تعيش في الريف واقطن بواحد في غرفة ضيقة فوق سطح احدى العمارات الكبيرة، ثم انفق بعد ذلك كل ما تبقى لي في شيئين اثنين ، هما الرغيف الذي اتبلغ به والخمر التي تنسيني فجيعتي في « المرأة » التي احببتها والتي اختطفها الموت عنوة من بين يدي .

وكما وجدت في الزجاجة بعض التعزية ، وجدتها كذلك في المسكن الذي طوح بي القدر اليه بعد انماتت (آمال) وخلفتني في هذه الدنيا غريباً . كما جئت اليها غريباً ، فقد كانت الغرفة التي اسكنها اشبه بالبرج المعلق في السماء اطل منه على المدينة النائمة في الليل ، فتتراوح لعيني رؤوس عماراتها الكبيرة ودورها الصامتة اشبه بالمقابر التي يحتويها الفناء ويريم عليها الصمت ، ومن الاشياء الجميلة التي كانت تطربني كثيراً . ذلك الكشك الخشبي الكبير الذي يقوم امام غرفتي على السطح والذي ضم عددا كبيراً من الدجاجات المختلفة الوانها واحجامها، اعدت لطعام احدى الاسر الثرية التي تقطن العمارة هذه الدجاجات كنت احبها حباً لا حد له .

وكثيراً ما كنت اقضي معها نهاري ارسمها واداعبها واعني بها عناية فائقة . وكثيراً ايضاً ما فضلتها على نفسي فكنت آتي لها بالرغيف الذي اتبلغ به واغمسه في الماء ، ثم انثره امامها فتاته، متناسياً انني سأجوع طوال اليوم . وكثيراً ما كنت احزن حزناً لا حد له اذا نقصت دجاجة او اكثر ، واقول لنفسي باي حق نستبيح لانفسنا ان نفجع كائناً في حياته ونذبحه بايدينا ونأكل لحمه ، واذكر مرة انني قضيت ليلة لم انم ولم يغمض لي فيها جفن . لانني عدت في المساء فوجدت الدجاجة البيضاء الكبيرة ذات الطوق الذهبي التي احببتها ، وجلست امامها زمناً ارسمها، غير موجودة ورأيت مكانها نقطاً من الدم ، فعرفت بانها ذبحت ، وبأنها فجعت في نفسها ، وتصادف انني في اليوم الثاني غادرت غرفتي وذهبت الى السوق اشتري رغيفاً وزجاجة من النبيذ ، ولما عدت مع الظهر صعدت معي في المصعد فتاة فارعة الجسد ، عليها مسحة من جمال قديم، ما زالت آثاره تغالب السنين وتتشبث بالشفاه والعينين ، وكانت تحمل على يدها صينية كبيرة خرجت لساعتها من التنور تنام في قلبها دجاجة سمينة موثوقة الجناحين والفخذين وقد سوتها النار وانضجت لحمها ، فامتقع لوني لرؤيتها ، لانني عرفت فيها دجاجتي البيضاء الحبيبة ولذلك رحت انظر اليها واتأملها وكأن عيني تعلقتا بها . ولاحظت على الخادم ذاك وكأنها اشفقت على عيني المعلقتين ووجهي الممتقع فقالت مترفقة بصوت وقور .

— الست انت الذي يقطن على السطح ؟ .

فقلت وكنت قد رأيتها مراراً تصعد اليه لتسقي الدجاجة وتطعمها . — نعم .

فقالت وهي تنظر الى ثيابي الرثة ولحيتي الكثة المغبرة ووجهي الذي غام خلف الشعر الذي لم تعمل فيه الموسى من شهور .

قصة

— ولكن الا تشفق على نفسك من البرد في هذه الغرفة العارية وهذا الشتاء القارس ؟؟ وهممت بان اقول لها

شيئاً ولكن المصعد كان قد وقف بنا فانصرفت انا كذلك غير انني بعد حين وقد بدأت الزجاجة العزيزة تهدهد نفسي وتروح عنها، احسست بيد تفتح باب الغرفة وكانت يد الخادم الوقور التي جاءت تقدم الي طبقاً به حفنة من ارز تعلوها قطعة من لحم الدجاجة التي رأيتها في الصينية . فتألمت لان هذه الفتاة الطيبة ظنت غير الحقيقة وانا انظر الى الدجاجة في المصعد ولكنني لم اشأ ان افجعها في خلقها هـذا الطيب وكرمها هذا الذي تشكر عليه . ولا سيما انها قالت لي في حياء وخجل ان هذا بأمر سيدتها ، فتناولت منها الطبق شاكراً لها هذا الفضل، وبعد ان انصرفت القيت بحفنة الارز الى الدجاجات التي فرحت كثيراً وهي تلتهمها التهاماً ، اما قطعة اللحم فهممت بان آكلها بيد انني تذكرت بانها من لحم الدجاجة البيضاء التي كنت احبها فالقيت بها جانباً .

ومن هذا اليوم توطدت علاقتي بهذه الخادم الطيبة التي احبتني وعطفت علي وراحت تعنى بشؤوني وتنظف لي ثيابي كلما رثت وعلاها البلى ، وكثيراً ما كانت فاطمة تسرق نفسها وتصعد الي لتجلس معي تحدثني عن نفسها وعن حياتها الثقيلة المملة التي تسير على وتيرة واحدة كل ذلك وانا اشغل عنها حيناً بحياتي التي تشبه حياتها . وحيناً بزجاجتي التي احبها . ومكثنـا كذلك الى ان حدث ذات مرة وكان النهار قد اوشك على الرواح ، وكنت احب رواحه جداً لامتع نفسي بمنظر الشمس الغـاربة ، فوقفت على السور اشترك في توديـع يوم من ايام العمر . وانظر الى شمسي انا الآخر واكفنها بالدموع التي تذرفها عيناي على آمال التي ماتت وخلفتني مشرداً في هذه الدنيا اعيش بغير ما امل . وبينما انا كذلك اذا بي اسمع من خلفي حفيف ثوب يـتماوج ووقع اقدام تسعى على مهل كأنها النسيم يتهادى فالتفت واذا بي فجأة اقف مذهولا مبهور الانفاس فقد رأيت امامي آمال .. آمال بعينها ، بقوامها الفارع الفاره المياد وشعرها الكستنائي اللامع الذي تهدل على الكتفين وانساب على الصدر الذي لاح لعيني عارياً من فرجة الروب الحريري الذي ترتديه . ورأيت معه الوجه الفاتن المتألـق الذي حرمت من طلعته تسع سنوات كاملة . والهدب الطويـل الساجي الذي كان يهدهد بلفتاته قلبي كلما قست عليه الايام وبرحت به المحن ، ورأيت كل ذلك فجأة وعلى غير انتظار فهممت بان اصرخ واهتف من فرحتي واقول آمال . . بيد ان فاطمة كانت تقف خلفها فقالت على الفور بصوتها المترفق الامور :

— سيدتي آمال هانم جاءت بعد ان حدثتها عنك لترى صورك وتطلع على لوحاتك .!!

.. يا الهي حتى الاسم هو الآخر نفس الاسم ؟ .

وتقدمت منها مذهولا جاحظ العين ، وصافحتها بيد مولهـة الانامل . وكأن نظراتي التي تكالبت على وجهها وعينيها ادهشتها حتى لكأنها تقول لي بعينيها :

— لمَ تنظر الي هكذا ؟

فخجلت وكدت اتعثر في خطواتي واسقط على الارض وانا ادفع بيدي المرتعشة باب الغرفة لاريها لوحاتي التي جـاءت لتطلع عليها . بيد ان الذي هدأ من روعي انني رأيتهـا راضية مبتهجة تنطلق اساريرها لكل لوحة اشرحها لها وكل صورة من صوري الرائعة التي رسمتها بقلبي قبل ان تموت آماله . ولما اطمأنت الي والى مكانها مني وجلست على المقعد المتآكل الذي قدمته اليها ، رنت الى السرير الحديدي الذي عـلاه الصدأ وانتشرت عليه بطانية سوداء متآكلة فغدا فيها كنعش الفقراء المحمول على اعناق بعض السابلة في طريق مقفر . ثم نظرت الي فاطمة نظرة طويلة . فهمت انا منها انها تعني فقلت والخجل يخنق صوتي ويحطم نظراتي ويلقي بها اشلاء على الارض قبل ان تبلغ اذنيها .

— هذا هو بيت الفن .

فقالت مجاملة وهي تنظر الي .

— وهذا انت ربه العظيم .

فشكرت لها هذا الثناء العظيم . ثم رحت اشرح لهـا من جديد ما ترمز اليه بعض لوحاتي شرحاً مستفيضاً وكأنني اشرح لها فرحتي برؤيتها ، ثم لما انتهيت من الشرح واطلعتهـا على جميع « رسوماتي » الفنية نهضت وقدمت الي يدها شاكرة بيد انهـا رأت مصادفة في مكان قصي صورة كبيرة لم اشأ ان يراها احد فغلفتها في غطاء من الدبلان علاه البلى ولوثته بعض الالوان . وكانت صورة آمال التي ماتت فاسدلت عليها هذا الغطاء . ولم ترهـا عيني منذ سنوات ، فطلبت مني ان تراها فاضطربت انفاسي وخجلت ان ارد لها طلباً فذهبت الى الصورة متخاذلا ورفعت عنهـا ذلك الغطاء القديم واذا بآمال امامي يشع النور من عينيها كأنها لمحت وكأن البلى لم يعل ذلك الجسد العاري . الذي يتألق بهاء وصفاء . والذي انسدلت عليه غلائل الشعر الفاحم فكادت تغرقه في بحر من الظلام لولا شعاع من نور انبثق من العينين فعربـد بالظلام وكشف عن بعض مواطن الفتنة في الجسد الجميـل . ونظرت الزائرة العزيزة الى الصورة مشدوهة وكأنها ترى نفسها فيها . ولما

تأملتها طويلاً ودققت في خطوطها ومعالمها نظرت الي فاذا بي مخضل الطرف ابكي بكاء مكتوماً . فحولت عينيها ثانية وكأنها فهمت كل شيء. وعرفت سر دهشتي عند رؤيتها وارادت ان تحترم احزاني فذهبت من نفسها الى الصورة واسدلت عليها الغطاء واعادتها الى مكانها ثم جلست حيناً صامتة . ولما هدأت ثائرتي تحدثت معي طويلاً وحادثتها انا ايضاً طويلاً وقصصت عليها قصتي الحزينة حتى بكت هي الاخرى وبكت معها فاطمة ثم انصرفت بعد ان وعدتني وعداً صادقاً بتكرار الزيارة .

ولست ادري لماذا طربت لهذا الوعد وفرحت به فرحاً كبيراً وقضيت ليلتي مبتهجاً حتى انني من فرحتي وابتهاجي نسيت نفسي ونسيت معها زجاجتي العزيزة فلم اقربها ولم اتناول منها شيئاً. وفي الصباح برت بوعدها واقبلت على السطح تسعى رويداً وكأنها النور . وكانت مرتدية نفس الروب الستان اللامع الذي رأيتها فيه بالامس والذي تألق جسدها فيه وانساب في رعونة وطيش وراح يعبث باقفال الثوب ويتدفق نوراً من صدره المشقوق وكنت لحظتئذ اجلس الى جدار الغرفة اقضم كسرة جافة بقيت من عشائي ، واتهيأ لرسم الشمس وهي تتسلسل رويداً الى حظيرة الدجاجات ، فلم احفل بتحيتها لانني اخذت بطلعتها وقلت مبهوراً :

— لو ان يد فنان نقلت هذا الجمال على الورق ، لقدم الفن نفسه قرباناً اليه .

فاستلقت ضاحكة تخلص باناملها الحلوة خصلة شعر رفت كالاقحوانة على الجبين . ولم تعلم غير السماء الفرحة التي غمرتني والنشوة التي نعم بها فؤادي عندما قبلت ان ارسمها .. يا الهي إلى هذا الحد يسمو الجمال بالفنان ، ويخلقه خلقاً جديداً ، ويعيده الى دنياه ويرد اليه الهامه وفنه ؟ لقد كنت في تلك اللحظة احس احساساً صادقاً بانني غير الانسان الذي اعرف . وغير المخلوق الهش الذي كان يعيش كذبالة تتناهبها ريح عاتية ، فلا هي تنطفيء ولا الريح تشفق على انفاسها المحترقة . كنت احدث نفسي بذلك وامال الجديدة تجلس امامي جلستها الاولى في الوضع الذي اختاره لها جمالها . وارغمتني فتنتها . ولما انتهت الجلسة الاولى صافحتني وانصرفت فانصرف معها قلبي يودع الذيل الطاهر والجمال العف. ثم انصرفت من فرحتي اسير في الطرقات كطفل يلهو واجوب الاماكن العامة وغير العامة واقول لنفسي المغتبطة .

لئن كان القدر قد بعث الي بآمال جديدة . فقد بعث الفن ايضاً (برفائيل) جديد .. وذهبت من فرحتي الى بيت الليل .

وهو حانة صغيرة في شارع غير معروف كنت اتردد عليها دائماً فوجدت جماعة من الزملاء والاصدقاء سكارى قد غرقت نفوسهم في بحر من الخمر يشربون لفائف التبغ التي تحترق بين اناملهم رويداً كما تحترق اجسامهم المخمورة رويداً كذلك . وقد تصاعد دخانها فكون غمامة سوداء معتمة فوق رؤوسهم وكلما تبددت او عربدت بها نسمة عابرة ، عاد الدخان المحترق وتصاعد اليها وكونها من جديد كأنها دنياهم السوداء جاثمة على صدورهم ، فمكثت معهم حينا من فرحتي اضحك وامرح على غير العادة دون ان اشاركهم في الشراب لان نفسي كما قدمت عافت الخمر وحرمتها تحريماً منذ اللحظة التي عادت فيها آمالي . وكيف اشرب الخمر ؟ انني كنت اشربها لانسى اما الآن فاصبح لا يحزنني سوى اللحظات التي انام فيها لان النوم سيحول ولو الى حين بيني وبين هنائي . بيني وبين فرحتي، بيني وبين فني العزيز الذي رجعت اليه وكأنني من الشوق اكاد التهمه التهاماً . انني منذ ان ماتت آمال لم تعمل يدي في صورة واحدة رائعة . سوى صورة الدجاجة البيضاء التي ذبحت وذهبت ايضاً . وكنت اعيش من صوري القديمة اما الآن وقد رجعت الى دنياي. رجعت الى سعادتي اريد ان ارسم كل شيء.. واصور حتى سعادتي وهنائي .. ترى لو ترسم الفرحة . ؟ ترى لو تصور السعادة ؟ اذن لكنت اول من صور النشوة وهي تتساقط من السماء وتنسكب هناءة على قلبي . ولهذا فرحت جداً عندما كنت اقطع الطريق في الليل الى غرفتي وكان مقفراً والمطر ينهمر والريح تدوي فرأيت شبحاً يترنح في الطريق ويتمايل مع ظلام المصابيح المرتعشة التي تعصف بها الريح ويلطمها المطر المتهافت على الارض ، فاقتربت منه واذا به « كوثر » ولكم كانت فرحتي وانا اهتف بها . اين انت ؟ . فلم ترد على انها فتحت عينيها ونظرت الي. ثم تبعتني دون ان تقول شيئاً لانها لم تقل شيئاً لاحد ولم ترد نظرة لانسان منذ ان اعوزتها اللقمة فقدمت جسدها الجميل لطلبة مدرسة الفنون يرسمونه ويصورون اوضاع الفتنة فيه. وكانت مقرورة ترتعش وكانت ايضاً جائعة فلما بلغنا الغرفة اعطيتها رغيفاً وزجاجة النبيذ التي ظلت بعد ان عافتها نفسي ثم قمت الى اطار قديم كان عندي وحطمته واشعلته لها ولما شعر جسدها المرهق بالدفء استلقت في استرخاء ونامت نوماً عميقاً . وكم شاقني منظرها في الصباح وكانت لا تزال نائمة عندما تسللت اليها الشمس من فرجة النافذة وعانقت جسدها بلثم ملائكي وكأنها تكفكف اوجاعه . وفي الصباح اقبلت آمال هانم فاحسست بقلبي العاشق يسبقني لاستقبالها . وكم سرني انها

حيتني في حرارة وصافحتني في شوق كأننا متعارفان من زمن بعيد. ومكثت حيناً بجواري بجانب السور نستمتع بدفء الشمس الغاربة في الافق وتتحدث الي واناصامت لا انبس ببنت شفه، فقد كنت اخشى ان تحدثت ان احرم اذني من اللحن الملائكي الذي ينسكب فيها انغاماً. ومكثنا كذلك الى ان خرجت علينا كوثر من الغرفة واقبلت علينا ذليلة صامتة كالكلب الاليف.. ولما لم نعرها التفاتا انصرفت صامتة ايضاً. بعد ان افهمتها بان تجيء ثانية وبعد ان انصرفت سألتني عنها ولما قلت لها من هي تورد وجهها خجلا واندهشت كيف تقف امرأة عارية امام رجل ليرسمها. ثم جاءت فاطمة وانتقلنا ثلاثتنا الى الغرفة واستأنفت آمال امامي جلستها الثانية ووقفت انا امامها ارسم دنياي واصور حياتي خطوطاً والوانا.

وتكررت هذه الجلسات التي كانت تبلغ الساعات احياناً. ومكثت اياماً لا اغادر غرفتي ولا اهبط الى الطريق وكانت حاجياتي تقضى بسهولة. مرة تقضيها فاطمة التي كانت تتكرم علي بقضائها. ومرة كوثر التي اتخذت من غرفتي مأوى لها كلما لفظها باب او احوجتها اللقمة. ومكثت كذلك الى ان انتهت الصورة ولن انسى ما حييت الليلة التي اتممتها فيها. والتي احتفلنا فيها ثلاثتنا انا و امال هانم وفاطمة بهذا العمل الخالد الذي طربت له آمال وفرحت به وازالت بسببه الكلفة بيني وبينها في تلك الليلة، فقربتني منها واولتني الكثير من عطفها واغدقت علي ما تملك من حنان وعطف: ثم تركتني بعد ان ودعتني ضاحكة وضغطت على يدي مبتسمة. وظلت فاطمة قليلاً تحدثني عن سيدتها وكيف انها تعيش في سماء اخرى لا تهبط ابداً الى دنيا الناس ولا تسمح ابداً لانسان ان يراها او يحادثها. بله ان يجلس اليها ويرسمها. ثم ضاحكتني هي الاخرى طويلا وعابثتني على غير العادة وانصرفت ومكثت انا وحدي مع الصورة المقدسة اتأملها على ضوء المصباح الخافت بعين فنان. فراعني منها في الذي تقدم واخذتني افكاري التي سمت. وبهرني الطاهر الذي كان يتألق في كل خط من خطوطها وينسكب نوراً على كل زاوية من زواياها ولاسيما الذي انسكب من العينين على الجسد فاحاله الى اشراق ونور جديد لم تره عيني منذ سنوات. لذلك مددت يدي ودون ان ادري كتبت عليها باحرف بيضاء ناصعة الاسم الذي اختاره لها قلبي «النور العائد» ومكثت كذلك اتأملها الى ان نضب زيت المصباح فانطفأ فأخذت الصورة وغادرت الغرفة ورحت احلق بها في السماء واجوب بها على جناحي طائر ابيض جميل يسمونه السعادة. حتى غلبني النوم

فاستلقيت بجوارها على السرير انام لأستيقظ واستيقظ لأنام. بيد انني وقبل ان استغرق في النوم احسست باب الغرفة يفتح على مهل وتدلف منه في الظلام الدامس كوثر صامتة كعادتها. ولا ادري كيف جاءت ولا من اين اقبلت مع اني كنت لم ارها منذ ايام. وانما الذي ادريه انها اقبلت على غير عادتها خفيفة رشيقة تفوح منها في الليل رائحة عطر جميل اخاذ عبق في ارجاء الغرفة. ثم اقبلت صامتة واستلقت بجواري على السرير بعد ان نضت عنها ثيابها. وعلى غير عادتها ايضاً لاذت بصدري خائفة مضطربة حتى اطارت النوم من عيني. ومكثت كذلك الى وقت متأخر من الليل ثم ارتدت ثيابها لاهثة وهمت بان تنصرف فسألتها الى اين فلم تجب فدسست في يدها خمسة قروش وتصادف انها كانت كل ما املك لتعود الي في الصباح برغيفين وقطعة من الجبن فاخذتها وانصرفت صامتة كما اقبلت صامتة يشيعها الظلام الذي ظل ينتظرها حتى توارت وما ان خرجت حتى رحت اسبح في نوم عميق.

وفي الصباح لم تعد كوثر كما قلت لها. وشعرت بانني جائع وانني في حاجة اليها او بمعنى آخر في حاجة الى الخمسة القروش لاشتري بها شيئاً اتبلغ به، فهبطت الى الطريق ورحت ابحث عنها في كل مكان، ولما لم اجدها ذهبت الى بيت الليل لعلني اجدها هناك، فوجدت جماعة من الزملاء يتجرعون الخمر. ولما سألت عن كوثر لم يجبني احد، بيد ان واحداً قال وهو يهيء وجهه للامتعاض والتأفف ليحتسي كأساً من الكونياك الرخيص.

— كوثر في السجن من ثلاثة ايام يا استاذ.

فلم اصدق طبعاً وقلت على الفور.

— انها كانت معي ليلة البارحة.

فقال وهو يهيء وجهه مرة ثانية لكأس اخرى

— يجوز صورتها. اما هي فيسأل عنها الاستاذ فتوح الذي قدم اليوم معارضة في امر حبسها ورفضت.

وقبل ان يتم سمعت صوتاً ينبعث من بعيد ورأيت حوذيا مسنا يجلس بعيداً يلف لفافة من علبة صدئة دفنها امامه بين الكأس وزجاجة النبيذ وحفنة من الترمس.

— يقولون انها سرقت «بطانية» من رجل كانت تبيت عنده.

وخرجت مذهولا افكر، فشيعتني امرأة من نساء الحانة بكأس شربتها، وبقايا لفافة اشعلتها وضحكة جوفاء ماتت على

— البقية في صفحة ٦٧ —

الى صورة

لا تتكلم . التفسير يقتل طرافة الموضوع

فيكتور هيجو

للآنسة فدوى طوقان

نابلس

اذهبي واعبري الصحارى اليه

فاذا ما احتواك بين يديه

ولمحت الاشواق في مقلتيه

مائجـات اشعة وظلالا

مفعمات ضراعة وابتهـالا

فـاحذري ، لا تعبري ، لا تبوحي

لا تبيني تأثراً وانفعالا

واكتمي عنه ما يزلزل روحي

منـه ، واطوي هواي من عينيه

***

هو لي فتنـة .. ولكن دعيه

مستفزاً .. يشك في حبيه

ليس يدري بما يؤج بصدري

من حريق مدمر مستطير

وامثلي أنتِ صورة بكماء ..

وجهها خـامد بلا تعبير

ميت القلب والهوى والشعور ...

***

فاذا الليل سف منه الجناح

ومضت في انسراحها الارواح

تتلاقى على مهاد الاثير

عبر آفاق عالم مسحور

عالم الحلم ، مسبح اللاشعور

فاسبقي انت كل حلم اليه ..

واستقري هنـاك .. في عينيه

عانقي روحه ، ودفي عليه

انشديه شعري وغني لحوني

في هواه ،

بثيه كل شجوني

صوري لهفـتي له وحنيني

حدثيه عن صبوتي ، عن جنوني

حدثيه حتى يلوح الصباح

فـاذا قبل السنى جفنيه

وصحا ، لم يجد هناك لديه

غير « لا شيء » ماثلاً في يديه ! .

وارجعـي انت صورة بكماء

وجهها خامد بلا تعبير

ميت القلب والهوى والشعور

***

هـكذا ، وليظل حبي سراً

غامضاً ،

ان للغموض لسحراً

آسراً يجذب النفوس اليه

حيث تبقى مشدودة في يديه

ليس تقوى على الفكاك ،

فكوني

انت مثلي « لديه » عمقاً وغوراً .

هـكذا ، وليظل نهب الظنون

تائهاً بين شكه واليقين



الفينيقيون في بحثهم عن المعادن

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

من الشعوب* الساكنة فوق البحر المتوسط الابيض التي لعبت الدور المهم في العهد القديم كان الفينيقيون ذلك الشعب الذي اوجد الابجدية، وعلمها العالم.

ومن دواعي فخرهم ان الهلينيين كانوا يسمون الحروف بالاشارات الفينيقية، ومنهم انتقلت الى الامم المتمدنة. وقد قاموا بدور الوسطاء، فعن طريق التجارة نقلوا المكاييل والموازين البابلية، وعلموا العالم المبادلة بالنقود، ولم يكن دورهم يقتصر على التوسط فحسب، بل انهم وسعوا دائرة المعارف البشرية بصورة مبتكرة ومستقلة ايضاً، فهم الذين رقوا الصناعات في بلادهم، ولعل حاجتهم اليها لضيق اراضيهم وقلة خصبها وعجزها عن تأمين معاش سكانها، مما اضطرهم للوصول بالصناعات الى اوج ازدهارها في وطنهم وركوب اهوال البحار سعياً وراء الرزق، ومثلهم في ذلك مثل بريطانيا في العصر الحاضر، فقد قاموا بصنع الزجاج الشفاف والملون وصبغ الاقمشة باللون الفرفري الاحمر المرغوب في العالم القديم وساهموا ايضاً في رقي الرياضيات والخبرة العملية، وقد قال عنهم ستر ابو المؤرخ اليوناني القديم: « ان الفينيقيين من الشعوب المجدة النشيطة والمغامرة، بحثوا في النجوم لهداية سفنهم في ظلمات البحار، وكذلك كان لهم باع طويل في الحساب تسهيلاً لمعاملتهم التجارية في العالم ».

يعزى تشكيلهم للمستعمرات عدا عن الغرض التجاري، قياس الارض، وهكذا انتثروا في اطراف الدنيا القديمة في جزر الارخبيل في مواطن القصائد الهوميرية، وفي جنوبي اسبانيا الغنية بالفلفل والمعادن وفي افريقيا الشمالية في قرطاجنة الخالدة التي ينسب اليها هانيبعل القائد التاريخي العظيم، وفي غيرها من الممالك والامصار وهم اول من عرف استحصال حديد لبنان وبيعه في الاسواق العالمية، مستخدمين لهذا الغرض خشب الارز. وقد اشتهر هذا الشعب في البحث عن المعادن والتجارة بها بصورة لا مثيل لها في زمنه. وهم اول من عرف القصدير، ويقال انهم جلبوه من انكلترة، ولكن لا يزال هناك غموض في قصة هذا المعدن، فمن المؤرخين من يعزو فضل العثور اولا للجزر البريطانية، ومنهم من يجعل ذلك لصقلية، ومنهم من ينسبه الى سواحل الكهرباء اعني بحر الشمال او الى اسبانيا او الى غيرها من الممالك والبلدان. ولكل صاحب دعوى حجج وبراهين، حتى ان بعض البحاثين ليعدون تقارب اللفظ دليلاً على تقارب المصدر، فاسم القصدير باللغة السنسكريتية « قصطيرة » وهي تشبه الكلمة اليونانية « كاستيروس » كما ان لفظ « تين » نجدها في مختلف اللغات الاوروبية كالدانيماركية والانكليزية والسويدية والايرلاندية، وتشبهها ولا شك لفظة « شين » الالمانية و « اتين » الافرنسية و « ستانوم » اللاتينية، ومما يثير اعجابنا ان نرى اسم القصدير في لغات جزر البحر المحيط الهادى. مثل المالايو وجاوا مما يذكرنا باللفظ العربي، لانهم يسمونه « يتمه »، ولا يبعد ان يكون هناك مصدران للقصدير، احدهما من الغرب وكان يسمى « تين »، وآخر من الشرق وخاصة الهند وكان يسمى « قصطيرة ». والظاهر ان الفينيقيين عرفوا هذه المعادن وكان يسمون كل بضاعة معدنية باسم موردها، والغالب على الظن ان سكان الجزر الكائنة في البحر المحيط الهادى* اول ما عرفوا القصدير البريطاني على يد التجار الفينيقيين. اما اللفظ العربي القصدير، فيدل على ان الشعوب السامية عرفت مورده الهندي وكذلك الامر في اليونان القدماء. وهكذا فان للتسمية عند الشعوب اهمية في معرفة الاشتقاق وانتشار البضائع، وهي تماثيل تاريخية تنبئنا عما كان في ماضي الاجيال.

ثبت ايضاً ان الفينيقيين جلبوا هذا المعدن الثمين من شبه جزيرة ايبيريا. ويحدثنا البحاثة الطبيعي والتاريخي الاسكندر فون هومبولت على تكونه في جزر كناريا بين الصخور الغرانيتية التي لها اهمية جيولوجية والتي تشبه التشكلات المماثلة لها في اسبانيا وفي الجزيرة البريطانية، وقد عرف الفينيقيون على ما يظهر التوضعات المختلفة لهذا المعدن الثمين واليهم يرجع الفضل في تعريفه للعالم.

ان الفينيقيين هم اول شعب عرفوا كذلك حب الكهرباء، وجاءوا به من بحر البلطيق ونقلوه ايضاً الى اطراف المعمورة وعن طريق تجارته اوسعوا المعلومات واثاروا غريزة حب الاطلاع في التعرف على ما تنتجه الاصقاع المختلفة، ولعبوا في نقل هذه البضاعة الى الاجزاء المختلفة من الارض الدور المشابه الذي لعبوه في القصدير وهم ايضاً — على ما يحدثنا به المؤرخون — عرفوا العالم الجديد لان هناك بعض الادلة المشيرة الى انهم توغلوا في الغرب ووجدوا محطات في

* حديث اذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

الجزر الكائنة بين امريكا واوربا ، حتى يقال انهم وصلوا للدنيا الجديدة نفسها والدليل على ذلك وجود آثار تدل على استخدام تعدين القصدير بالطريقة الشائعة في المستعمرات الفينيقية ،ولكن لا يزال يكتنف هذه القضية بعض الغموض ، فلم يثبت بعد بالادلة القطعية توغلهم في ما وراء البحار ومعرفتهم للقارة الامريكية . ويعتقد البحاثة الاسكندر فون هومبولت المار الذكر انهم وصلوا امريكا عن طريق الشمال عبر الجزيرة الكبيرة غروينلاند التي كان لها حظ عظيم في التمتع بالتيار الخليجي الدافىء، في ذلك الماضي السحيق .

عرف الفينيقيون ايضاً نحاس قبرص وتاجروا به اسوة بالقصدير .

ولم تكن معلوماتهم لتقتصر على الحديد والقصدير والنحاس، بل عرفوا الفضة والذهب ايضاً ويذكر لنا الكتاب المقدس ، بأنهم كانوا يجلبونه من اوفير، كما كانوا يسمون اوفير ارض الذهب ولكن لم ينته البحث التاريخي من معرفة ماهية اوفير ، ولم يلفظ العلم الكلمة الاخيرة عنها بعد ، فلا يزال العلماء مختلفين في امرها ، ولكل فريق منهم ادلة وبراهين تؤيد دعواه. يحدثنا التاريخ عن بعثة سليمان الى بلاد الذهب « اوفير » وان حيرام ملك صور قدم الى سليمان سفناً فينيقية وبحارة فينيقيين ، خاضوا غمار البحار وعرفوا اهواله ومارسوا شدائده وركبوا مراكبه الصعب ويقال ان البعثة السليمانية الحيرامية قد رجعت بكنوز من الذهب والفضة والجواهر والقردة والطواويس ، وكانوا يسمون هذه الاسفار « الاسفار الطرفيسية » نسبة الى نوع من السفن المعدة للمغامرات العالمية التي كانت تصنع في صقلية من قبل صناع فينيقيين . اما من يزعم ان اوفير هي الهند بدليل وجود اسماء سنسكريتية مما جاء به الفينيقيون من اوفير . ولعل الشوق الذي حدا بـ « واسغودوغاما » المكتشف البرتغالي الشهير باكتشاف طريق الهند عبر الساحل الافريقي ، ما قرأه عن رحلات اوفير الى بلاد الذهب، كما وصف الجغرافي العربي الادريسي الهند انها بلاد الذهب، حتى ان كريستوف كولومبس عندما اراد اكتشاف طريق جديد للهند من الغرب ووصل الى امريكا وظنها الهند ، اخذ يبحث بواسطة السكان عن الذهب اعتقاداً منه بوفرته فيها . ويقيم بعض المؤرخين الادلة على ان المقصود ساحل الذهب من افريقيا ، وذلك لان الادريسي يسميها « سوفورا » وهي على رأيهم انها محرفة من اوفير ، اما دليلهم الثاني فلأن طريقة استخراج هذا المعدن هناك بلغمة الزئبق الطريقة الشائعة قديماً . واذا صح انهم عرفوا استخراج الذهب بطريقة الملغمة، فيلزم ان يكونوا عرفوا استخراج الزئبق وخواصه وليس ذلك مستبعداً، لانهم عرفوا اسبانيا ، وما تحويه من كنوز معدنية ، البلاد الغنية بخامات هذا المعدن السائل .

ان الذين يعزون اوفير الى الجزيرة العربية فدليلهم على ذلك وجود كميات وافرة من الذهب هناك ، تستخرجها اليوم شركة امريكية . وقد ذكر لنا المرحوم الامير شكيب ارسلان في كتابه الارتسامات اللطاف من حاضر الحاج الى اقصى مطاف وهي الرحلة الحجازية لامير البيان نقلاً عن رسالة المستشرق موريتس في كتابه المعادن في العربية القديمة ، جاء فيها ما ملخصه .

« يظن الناس اجمالا ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا وحقيقة الحال انها ليست كذلك، بل اذا نظرنا الى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال ، وكانت تلك الثروة آتية من منبعين :(احدهما) كون الجزيرة العربية طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط ، والثاني وفرة المعادن التي كانت فيها ، واخصها الذهب ، فقد كانت هذه المعادن في اواسط الالف قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينيقيين والاشوريين، وقد ارسل سليمان بن داود بعثة على حسابه الى البحر الاحمر وعادت بغنائم تدهش العقول ». وطبعاً ان ما يقصده بهذه البعثة هي رحلة اوفير التي تكلمنا عنها . ولعل اوفير هي ليست مكاناً معيناً بل هي رقعة غامضة لتضليل العالم في العهد القديم ولعدم تمكينهم معرفة المنبع الحقيقي الذي يستقون منه الثروة الطائلة .

هكذا كان يلعب الفينيقيون القدماء نفس الدور الذي يلعبه اليوم دول اوربا في اكتشاف كنوز العالم والاستفاده منها، وخليق بنا ان نقتبس من روحهم المغامرة في بناء نهضتنا الحاضرة .

حلب **محمد يحيى الهاشمي**

صورة وصفية

وداد

بقلم وديع فلسطين

مي سوريا* ، بل « مي » الاقطار العربية ، ابلغ من تحمل اليوم قلماً وقرطاساً واكثرهن اصالة واشرقهن ديباجة واوفرهن اطلاعاً واقلهن محاكاة وتقليداً . وفية للادب وللصحب، والوفاء يقتضيها ان تنصف الادب فتمنحه كل حقه وتنصف الصحب فيقيم على وشائج الروح، وتعطي كلا قدر ما يستأهل . فلا تطفف كيلا ولا تغبن في ميزان . وهي تعرف كيف تسمو على الذات فلا تدع سباق الحياة يبث فيها ضغينة اوموجدة، ولا تأذن للمباراة بين حاملات القلم أن تسلبها رشاد الحكم وسداد الرأي .

فوداد تعرف ان لها غرماء وغريمات ولكن ذلك لا يستبد بها ولا يمنعها من المفاخرة بما حققته كل رائدة من رائدات الادب ، سواء طرقت بابه قحطانياً أواتته من زاوية شكسبيرية، او اطلت على آفاقه من برج ايفل ، فهي تريد لاسرة الادب النسوية ان تتسع وترحب، وان يقبل عليها كثيرات وكثيرات مادمن قد ثقفن انفسهن تثقيفاً ، عالياً ، وما دمن قد انفقن اكثر سني الفتوة والشباب بين اكداس من الكتب والمعاجم .

اذكر « وداد » مصبحاً ، واذكرها ممسياً . اذكرها اذا خلوت الى خزانة كتبي ففيها بضعة من مؤلفات وداد، وفيها بضعة اخرى قلبتها انامل وداد والتهمتها عيناها . اذكرها ذاهباً الى مقر عملي واذكرها آيباً عائداً ، فالسيارة تمج على دارتها غير بعيد من النيل ، وتعرج بين خضرة كانت مزهرة مونقة ، فغدت اليوم عمائر حديثة تناطح السحب . « فالروضة » اليوم لم تعد روضة للزرع والضرع ولم تعد الحقول تتوسط الديار ، بل زحف العمران على ارض النماء ، واختفت الساقية ومعها بهيمتها واصبح الحي غير الذي الفناه . وقطانه غير الذين عرفناهم ، فيا له من بقعة مهجورة على كثرة ما احتشد فيها من سكان ونزلاء ، ويا له من قصر خلا من ربته .

ثلاثة اعوام طوال امضتها وداد في القاهرة ، فلم تعرف خمولا ولا شكت بطالة . فالعقل يعمل ويعمل ، والقلم يكتب ويكتب ، والعينان تطالعان وتطالعان ، والامومة لها مقتضياتها ، والزوجية لها اعباؤها ، والدار لها مطالبها ، والمجتمع له التزاماته . ولكن وداد كانت انموذجاً فريداً في الاخلاص لهذه جميعاً ، فقد اذاع لها الاثير افانين من احاديثها العذبة، ونشرت لها الصحف والروايات فصولا واقاصيص ان دلت على شيء فتدل على صدق المشاعر واخلاص في البحث واصالة في الرأي وعصامية في البيان .

وكانت وداد تتلمس سبل منتديات الادب فتقصدها ، وتتبين اين يجتمع رجال الفكر فتغزو قلاعهم بذهنها النير وتفكيرها المنطقي السليم . وما الذاكرة بقادرة ان تنسى تلك الجلسات اللطاف التي كانت وداد تؤثرها ، فجلسة للنقاش الحر العائلي مع الكاتب المفكر سلامه موسى وجلسة في شرفة مطلة على بساتين مزهرة في دار العالم الاديب فؤاد صروف، وجلسة بين سيدات القاهرة في منتداهم الاثير ، وجلسة في حدائق القبة مع الاديبة المطبوعة فله فهمي بدوي، وجلسة في المنتدى الشرقي مع اعلام الصحافة والسياسة والفكر وجلسة في الاتحاد العربي مع الشيخ الشاب خليل ثابت بك .

هذه وغيرها محافل ارتادتها وداد فكانت مثالا للسيدة الكاملة والاديبة العالمة والمفكرة المجددة المتجددة والسفيرة التي تعرف ان للسفارة تكاليفها ولها مستلزماتها فلا تتهاون في شيء منها . فما سمعت منها كلمة تنتقص من قدر احد، ولا ذمت ولا هجت احداً . بل لعلها هي التي كانت هدفاً لشيء من هذا لا لمنقصة فيها بل لسقم في نفوس غيرها وعلة تأكل الصدور .

وفي كل وسط ارتادته وداد ، لا تزال سيرتها معطرة مضمخة بالطيب ، يذكرها الادباء بالخير ، ويذكرها الشعراء بالمباهاة، ويذكرها طلابها بالزهو والخيلاء . ورحم الله خليل مطران بك فقد كان يعرف لوداد

* بمناسبة ظهور كتاب « انصاف المرأة » للسيدة وداد سكاكيني.

البوابون في باريس

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

البوابون في مصر هم اصحاب سطوة وصولة . وهم كذلك في باريس كما يبينه صاحب هذا المقال الذي انقله من كتاب « سحر باريس »

●

قال الكاتب : انصح لك اذا خاطبت البواب ان تتلطف في الخطاب وان تترفق في الجواب . ذلك لانك مقيم في منطقة نفوذه . وهو الرقيب عليك — أردت ام لم ترد — فهو رسول البريد اليك . وهو يستقبل اصحابك وخلانك كما يستقبل دائنيك وعملاءك .

وهو يعرف ساعة ذهابك ، وهو يعرف ساعة ايابك .

وهو يعرف اليوم الذي تلبس فيه بذلتك الجديدة . وهو يعرف ماذا فعلت بالبذلة القديمة .

وانت لا بد تعرف انه لا عمل له (اذا كان في بيت يسكنه قوم كرام) الا الجلوس في تلك الزاوية من البيت ينظر من نافذته الصغيرة ويسجل ما يرى . وكأن تلك النافذة مرآة صغيرة مصقولة تريه كل غاد ورائح .

وهو — لا شخص غيره — الذي يجيب عن كل سؤال يسأله صديق لك او عدو .

وقد يضايقك البواب يوماً او اياماً . ولكن اينما يكون الساكن يدركه البواب . فلا مهرب منه ولا مفر .

واذا فتح لك الباب — وقد كنت عدت في ساعة متأخرة من

قدرها ، وتالله لقد ذكر اسمها امامي غير مرة وهو يعالج سكرات الحياة السابقة على سكرات الموت فقد كان مطران نصيرا من نصراء المرأة الحرة لا المرأة المستعبدة ، وكان يجد في وداد املا مرجى للبلاد العربية جميعاً لانها جمعت الى الموهبة اجتهاداً ، واضافت الى الذكاء المفطور ذكاء اصطنعته بالدرس العميق والبحث الممض والسهر في طلب العلم .

وكان مطران يقول : ان وداد ليس لها بين النساء مثيل ، وهو محق مصيب لان الذي عرفوا « وداد » عرفوا فيها التفرد المتميز والعمق في التفكير والتدبير ، والمجاهرة بالرأي بكلام عفيف وفكاهة مستملحة . ولو ارادت ان تصفع اعداء المرأة لاسعفتها عدتها من اللغة والمنطق والحجة القوية ، ولكنها تؤثر ان ترد عليهم رداً يبدي من الرفق كثيراً ، ولكنه ينطوي على غير قليل من السخرية اللاذعة والحجة الدافعة ، والمنطق الغلاب .

ولو سئلت وداد عما ترجو وعما تطلب ، لما قالت ككثير غيرها : اريد ثراء عريضاً او جاهاً واسعاً او مقتنيات من الذهب وكرائم الحجارة . كلا ، فليس لهذه جميعاً هوى عند وداد . وما شغفها الا بالقراءة والكتابة ، تريد ان تقرأ كل ما كتب قديماً وحديثاً ، وتريد ان تسجل كل خاطرة تعن لها لا تسجيلا فيه العجلة والسرعة ، بل تسجيلا فيه الاناة والسداد . تريد ان تتهذب اخلاق كل مشتغل بالادب فلا تعود بينهم مزاحمة غير مشروعة ، بل يكون بينهم تعاون مشروع مرغوب فيه . تريد ان تكون المرأة عضواً عاملا في المجتمع ، ولكن ذلك لا يعني ان تنبذ المرأة صناعة الامومة وتبعة ادارة البيت . تريد ان يختفي « اعداء الكتاب » ليبرز اصدقاؤه . تريد ان تنصف المرأة من المرأة نفسها ومن الرجل كذلك . تريد للمرأة ان تكون متحدثة لبقة تعرف ما يقال وما لا يقال ، ولا تريدها متكلمة اطلق لسانها من عقاله ليهرف ويهذر .

ان وداد نعمة من نعم الله ، ومنحة من منحه ، تهنأ عليها سوريا ، ويغبط عليها آلها الاقربون والناءون . فما اصفى قلبها ، وما اهدأ روحها ، وما اجل خدماتها ، وما ابرع قلمها ، وما اخلص وفاءها . وهي من قبل ومن بعد معجزة لا يجود الزمان بكثيرات مثلها .

القاهرة **وديع فلسطين**

ساعات الليل — فظن بنفسك احسن الظنون .

وتقبل هذا منه مكرمة ، عند جيبك العامر أجرها .

والا فليسعد النطق ان لم تسعد الحال .

والبواب يعرف اصحابك بسيماهم وأسمائهم . وهو يعرف ما ينتابك من علل وامراض .

ولو اوتي البواب ذاكرة قوية. واسلوباً في الكتابة على شيء من البراعة . واثارة من علم الحروف والهجاء . اذن لاستطاع ان يؤلف رواية لا يستطيع تحبير فصولها اقدر الكاتبين .

وللبواب عين ينظر بها — في دهاء ومكر — الى كل من جاء يسأل عنك وانت غائب .

وهو يحسب انه قد برىء من كل عيب. وهو لذلك يجلس فوق كرسيه. في تلك الغرفة الصغيرة. وكأنه قاض يجلس فوق منصة القضاء.

وهو يعرف ان اولئك المتفاصحين من كتاب الروايات يقسون عليه في احكامهم ، فينعتونه بالجاسوس .

ولكنه اذا سمع هو هذا اللقب تبسم ضاحكاً .وطفق يعد نقوده ودراهمه . وهو اذ يبعث بنقوده الى غيابة ذلك الكيس الجلدي الضخم يعض على ناجذيه . ويطوح به خياله فيقول في مناجاته : ومن يدري فلعلي اصبح ذات يوم صاحب العمارة. ولعلي سائر يوماً في ركاب ابنتي .وهي تخطر في ثوب الزفاف وهي تمشي في غاب « بولونا » وقد مهرتها مهراً يسيل له اللعاب .

وأنت اذا غضضت الطرف عن فضول البواب وتجسسه، جاز لك ان تحسبه رجلاً من الفضلاء . فهو دائماً جاثم في مكانه الذي اعد له. وهو رجل مهذب وهو دائماً يؤدي الامانات الى اهلها .

وهو اذا امعن في ملذاته وأبعد كان اقصى مطارحه حانوت خمار النبيذ .وليس يرى هناك الا في صحبة جار من جيرانه .

واذا اعتدل الهواء جلس هو وامرأته وصاحبة لها في مدخل الدار يرقب الغادين والرائحين .

وهو اذا جاء الشتاء اقفل عليه بابه. وجلس وامرأته وصاحبتها (وهذه تكون — في الاغلب الاعم — طاهية او خادمة من جاراتها) وتظل المرأتان تغزلان غزلها ، وتلوكان احاديث الفضائح .

والبواب يقرأ صحيفة ويعلن المهم من اخبارها .

وهو فيلسوف ، لا تحركه العوادي والنائبات . فهو قد ذاق حلو العيش ومره. وهو قد مرت امام عينيه مشاهد من مواكب العرائس . يزفهن اهلهن الى بعولتهن او الى قبورهن .

وهو قد شاهد من خلال نافذته رجالا يتخاصمون ويتعاركون، واناساً يصعدون الى اعلى قمم المجد والغنى والثراء . واناساً يؤخذ بنواصيهم الى حبال المشنقة . واناساً يهوي بهم القدر الى درك الذل والفقر .

وهو قد سمع قصص المحبين. وابناء الغيارى واليائسين. اما ما يطلبه البواب من التحف والالطاف فليس بالشيء الكثير فاذا جئت لمدفأتك في الشتاء بحطب الحريق . فامنحه اضخم قطعة من ذلك الحطب .

واذا عدت في الليل متأخراً فلا تنس ان تمد يدك اليه بالحلوان. واعلم انك لست بقادر على ان تمنعه من ان يدس انفه في كل شأن من شئونك. كما انك لست بقادر على ان تحول بينه وبين صداقته لطاهية بيتك .

وهو عن هذا الطريق — طريق الطاهية — يعرف متى يهبط ثمن الخوخ هبوطاً يستريح له جيبك .

وهو يعرف اسباب عراكك مع الحذاء . لخلاف على أجر اصلاح الحذاء. وهو يعرف انك لا تشرب الا اردأ انواع الخمر وارخصها ثمناً وهو يعرف ان الواحدة من الدجاج اليوم قد ارتفع سعرها في السوق فأبت زوجتك ان تشتريها وقد انبأته الطاهية بهذا النبأ بهزة من رأسها .

وهو يعرف ان ساكناً من السكان ليس في العير ولا في النفير ذلك لانه رأى رجلاً رث الثياب قد زاره . ثم خرجا معاً ممسكاً كلاهما بذراع صاحبه . وكلاهما يخاطب صاحبه بضمير المفرد . وهو يعرف ان مالك البيت قد جاء ثلاث مرات يطلب كراء بيته .

وقد اتفق رأي العارفين جميعاً على ان من الخير للساكن ان يكون على أتم وفاق مع ذلك الرجل الذي يحرس باب بيته. ذلك الرجل الذي يعرف الكثير من اسراره . فلا اقل من ان يخصه هو واصحابه بالحديث في اصيل كل يوم احد .

والساكن قد يحس باثر طغيان البواب وتمرده في كل ساعة من ساعات الليل والنهار . ولكن لا مهرب من هذا الطغيان ولا مفر من هذا التمرد .

واذا اريد تغيير هذا الحال وجب ان تبنى « باريس » مرة اخرى .

والبواب يمكن ان يحاكم اذا خان الامانة . ولاي ساكن من السكان ان يضطر المالك الى طرد بوابه اذا اساء الادب .

ولكن ما دامت سيئات البواب لا تعدو ان تكون الفضول والثرثرة . وتدبير المكائد من بعيد. وشيئاً من الكبر والصلف. فلا مفر للساكن ، ولا معدى له من احتمال هذا الاذى . بل من تدليل جناة هذا الاذى .

وقد قيل : ان بيت الباريسي ليس حصنه ومأمنه . انما هو حصن البواب ومأمنه . .

القاهرة — مبارك ابراهيم

A LA GARÇONNE

فاجأته .. وقد قصت شعرها...

أقطعتِهـا .. ارجوحة الرصد   وفجعتني بأعزّ مـا عندي ؟
وكسرتِ نولاً كان يكمُرني   زمن الشتاء ، بمرسل جعدِ
وحرمتـني ضحكات مروحة   يا طالمـا شهقتْ على زندي
كيف اجترأت على جدار شذا   فهدمته .. وهدمت لي سعدي
وحصدت شعرك ... وهو زرع يدي   وعصيتني .. وكفرتِ بالعهد

***

سكتت مظلات العبير .. فلا   نجداً ضممتُ ولا صبا نجد ..
هذا ستاري البندقيّ .. هوى   ففجيعتي فيه بلا حد ..
سقفي .. وتابوتي .. ومدفأتي   وفراشيَ المجدول من ورد
ومظلتي السوداء .. كم حجبت   عني الشموس وهدهدت وجدي

***

عامان .. اسقيه .. وأُطعمه   وأذرّه .. يا ضيعة الجهد
وألمّ بالشفتين عتمته   وأريح فوق سواده خدّي
يا كم عقدت عليه أشرطتي   وفرشته ليلًا على كبدي
وسبلتُه .. وجدلت مجمله   وكحلته بمكاحل السهد
حتى اذا اندفعت غدائره   نهراً من الكافور والرند
عصف المقصّ به .. فمزّقه   وتكسرت قـارورة الشهد

***

بلهاء .. شاحبةَ الجبين .. ترى   اطفأتِ ثأرك منه .. فاعتدّي
لا تكشفي العنق الغلام .. فلا   عاشت جراح اللوز .. من بعدي
حل الشتاء بكل زاوية   فالثلج عند مفاتق النهد ..

***

لا تقربيني .. انتِ ميتةٌ   ان السوالفَ مجدُها مجدي ..

استامبول   نزار قباني

من ديوان « انتِ لي » الذي سيصدر قريباً

القيظ

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني

محمود شاب مثقف، وهذه لعنة كافية في هذا العصر. فهو شغوف بان يخلق الصعاب زاعماً انه سيتغلب عليها، فمثلاً، عندما صحا صباح هذا اليوم تخيل ان تدخينه للسجائر اصبح عادة سخيفة تسيطر عليه، وهو يحب ان يكون حراً، فالحرية عنده لاتكون احياناً الا محاولة الافلات من عادة كتدخين السجائر. ولهذا قرر ان يمتنع عنها منذ اليوم. وهو لا يدري لماذا اختار هذا اليوم بالذات من هذا الفصل من العام. فهو يزعم انه لولا هذا القيظ الملعون الذي غمر النهار كله منذ الفجر، وجثم على انفاس المدينة ومنازلها الضيقة المزدحمة، لاستطاع ان ينتصر في معركته التي خلقها، غير ان شدة الحر سببت له صداعاً شديداً، واضعفت قليلاً قليلاً من هذه الرغبة في اقامة اي نوع من المقاومة. وهكذا عدل عن محاولته بعد ساعة واحدة من قراره، ظل في كل دقيقة من دقائقها يذكر انه لن يدخن، لن يدخن.. حتى تضخمت امامه كل الاشياء، ورقصت الحروف التي كان يقرؤها، وسال العرق في خفة على جبهته، وأمسك بالسيجارة فأشعلها، ثم ذهب في شبه غيبوبة نشوانة.

لكن هذا لا يحدث للمثقفين فقط، بل يحدث لكثيرين ممن يتنبهون فجأة، فيجدون عادة قد سيطرت عليهم، وبذا يقررون ان يقيموا معركة بينها وبينهم، وما من سبب الا ان يثبتوا امام انفسهم انهم امام قوى لا يخضعون لها، وهم يجدون في هذا مرانا لذيذاً لارادتهم، غير انهم يدركون بعد ساعة واحدة، او ربما بعد شهور، انهم خلقوا معركة كي يثبتوا فيها هزيمتهم على انهم يحتفظون على اية حال بذكرى ذلك الصراع، ويقصونه حين تتقدم بهم السنون، فهو قد دام ساعة او ثلاثة عشر يوماً او سبعة شهور وهكذا.

وفي الضحى كان الطريق المهجور يتعذب من الظمأ. وفي زاوية من زواياه برز شاب يجفف عرقه وهو يتجه نحو بائع السجائر. وفي المساء كان عليه ان يقابل الهام — وهو اسم جميل بلا شك — ويخبرها انه سيخطبها، غير انه سيعلق خطبتها على شرط عليها ان تنفذه.

وفي المدينة كان الثلج قد نفد، فكنت لا تستطيع الحصول على شيء مثلج الا بثمن مرتفع، وكانت اعمدة الترام النحاسية لا يمكن لمسها، بينما اكتظت الفتيات وهن يمسحن عرقهن ومساحيقهن محشورات بين رجال ثارت غرائزهم، وفي الطرق كان السائرون يتجمعون كالذباب حول بائعي الغازوزة وعصير الفواكه والقصب يجففون عرقهم ويلهثون كالكلاب.

وانت تراني اذكر قصة محمود كما لو كنت اعاني معه هذا الحر الفظيع، فربما كنت انا محمود هذا، وربما تكون انت محمود هذا.. ولعله يكون كلانا. اما امه فكانت قد نسيت ان تغلي اللبن ففسد، واخته تعاني مغصاً، بينما وقفت حمارة فجأة وسط الطريق المهجور وافسحت ما بين قدميها الخلفيتين ثم روت قليلاً هذي الارض المعذبة. وراجت اشاعة في المدينة مؤداها ان العالم كله اصبح شراً، فرأى الله ان يوفر على نفسه عملية نقل الناس الى الجحيم بأن جعل من الارض نفسها جحيما.

على اية حال، كانت في حياته ثلاث فتيات، احتللن بؤرة حياته الواحدة بعد الاخرى كعربات قطار. اما على هامش حياته فكانت تعدد اكثر قليلاً، وهو لا يفصل بين الحب والشهوة، ذلك الفصل الذي شاع بين شباب العصر وفسره علماء النفس بانه تعلق بالام. فكل من كان محمود يحب روحها فهو يحب جسدها كذلك. غير ان هؤلاء اللاتي يضعهن على هامش حياته قد احب منهن اجسادهن دون التعلق بأرواحهن. ومن الغريب — في رأيه — ان الفتيات الثلاث بخلن عليه بأرواحهن واجسادهن بينما بذلت له الاخريات ما اراد بغير ما مقابل الا اللذة العابرة. وكان هذا ما يدهشه ويحيره في حياته حقاً. اما الثالثة فكانت الهام التي كان عليه ان يفقدها الليلة. وها انت تراني اسبق تسلسل الحوادث لاني اعرف نهايتها. فعندما هبط الليل لم يتغير شيء من حرارة الجو، بل كان لايزال خانقاً ملتبساً متلبداً بالغبار، يبعث على الخمول ولا يبعث على النوم.

وقد اضطر اصحاب الموتى في المدينة ان يعجلوا بدفن احبائهم الموتى في هذا اليوم قبل ان تزكمهم رائحتهم النتنة. وعندما جاءت الظهيرة كانت المحال العامة تروي ظمأ زبائنها بماء يكاد يغلي لان المياه الباردة اتى عليها رواد الضحى. ورجال الحريق كانوا

قصة

على استعداد لتلقي اي نبأ، بينما ازدحمت الحمامات وارتفعت فيها الاسعار، واعلن الراديو ان المدينة لم تعان مثل هذا القيظ

منذ اكثر من نصف قرن .

وكان على محمود ان ينتظر حتى المساء . ولن يخلصه من ملل الانتظار والحرارة الا التدخين . وكان القيظ فظيعاً حقاً ، فعندما ارسل غلامه الصغير كي يشتري له السجائر ، عاد يزعق ، فقد كان حافي القدمين ، وارض الطريق قد اكتسيت بالجمر . فاضطر ان يخرج بنفسه الى الطريق المهجور ، وهو يحس انه يسير وسط اتون ، وان ثمة دوامات نارية تنبعث من اسفل ومن فوق ومن شمال ومن يمين ومن الوراء ومن الامام ومن هنا وهناك ومن كل مكان . ولكنه واصل سيره بشجاعة حتى وصل الى بائع السجائر .

وكان بائع السجائر شاباً صغيراً ضاعت احدى عينيه في حادث ما — ربما لقصه عليك في قصة اخرى — فوضع عليها زجاجة لنظارة سمراء ربطها الى اذنيه بقطعتين من قماش ، وترك العين الاخرى تتمتع بحريتها . وكانت هذه الطريقة — في رأيه — كفيله بان تخفى عاهته امام الخادمات اللاتي يأتين بقباقيبهن ليشترين منه السجائر لاسيادهن غير ان هذا لم يكن رأيي ، فقد كان من المؤكد ان جميع الذين عبروا عليه لاول وهلة ، يدركون ان خلف هذه الزجاجة السمراء شيئاً مخجلاً لصاحبها .

وكان اسم بائع السجائر ايضاً محمود ، وانا لا استطيع ان اغير من اسمه لمجرد شك في عقلية القارىء انه لن يستطيع التمييز بينهما بغير الاسم ، على انني اعده بان اساعده بين حين وآخر على هذا التمييز . ومن يدري فقد يكون بطل قصتنا القصيرة هذه — التي ترى انها اوشكت ان تنتصف بغير ان تعرف شيئاً ذا اهمية — هو الاسم نفسه ، وليس هذه الشخصية او تلك ، او لعله ان يكون ذلك القيظ الملعون .

وكان محمود — بائع السجائر — قد رأى محموداً — المثقف — آتياً من زاوية الطريق وعرف انه يقصده . فأبعد الجريدة من امام عينه (السليمة بالطبع) وقد جمع منها محصولا لا بأس به ظل عالقاً منه بذهنه شيئان : النظام الجديد للتجنيد الاجباري في مصر ، والحرب العالمية الثالثة التي يمهد لها الملاعين . وكان — ككل الذين حوله — يهتم بالموقف العام كي يرى اين هو منه ، وقد ربط ربطاً آلياً بين التجنيد والحرب ففزع بعض الشيء ، ولو أنه اطمأن الى انه لن يجند بسبب عينه (الفاسدة بالطبع هذه المرة) .

غير ان محموداً كان يبتسم ، وكان يفكر في نفس ما يفكر فيه محمود ، وكان مثار الابتسامة على شفتيه فكرة فلسفية . ذلك ان التجنيد والحرب سيخلصانه من اشياء كثيرة متعفنة في نفسه ، وسيغيران من حياته الخاملة الرتيبة .

واقترب محمود من دكان محمود ، وظل يسير وسط اللفح واللهيب في الطريق المتعذب ، حتى رأى نفسه مقبلاً نحو نفسه في المرآة التي علقها البائع امام دكانه .

ولقد خدعتك ايها القارىء حين اخبرتك بأنني اعرف نهاية القصة فأوهمك بسبقي عليك ، والواقع اني مثلك تماماً في انتظار الزمن ان يخلق حوادثه . غير أني احس احساساً — لعلك عانيته معي — بان الصلة بين محمود ومحمود ليست صلة تشابه في الاسم فحسب ، ولا هي صلة البيع والشراء التي تمتد الى بضع سنين خلت . لعلها مجرد وجود المرآة !

كان محمود البائع سيعقد خطبته الليلة . والواقع انه كان ينوي الزواج الا انه لم يوفق في العثور على مسكن بأجر مناسب بسبب ازمة المساكن ، وقد رأى ان يدعو محموداً . ولعل الدعوة كانت للاخبار فحسب . قال له :

— ستأتي الليلة يا محمود بك ؟

وكان محمود (بك) مشغولا يتطلع باحثاً عن سيجارته المفضلة فالتفت الى محمود وقال :

— لاحضر كتب الكتاب ؟ (اي حفلة القران) .

— بل مجرد خطبة في الساعة الثامنة من مساء اليوم .

— ولن تعلق خطبتك على شرط معين ؟

— ماذا ؟ آه . . ما اكثر الشروط والاشتراطات يا سيدي في هذه الامور وهي من جانب اهلها اكثر مما هي من جانبي .

— وهل عندك اليوم تبغاً بدلا من اللفائف ؟

— نعم يا سيدي ، بلا شك ، هاك .

فقاطعه محمد .

— ما هذه الحرارة ، لقد قال المذيع اننا لم نعرف حراً مثل هذا منذ حوالي ستين عاماً .

وعبرت عليهما موجة من اللهيب ، ثم غمرت الطريق كله ، واستقرت بعض اللحظة ، ومحمود يعرض على محمود اصناف التبغ .

ولم يكن في امكان محمود ان يلحظ نفسه في المرآة المعلقة وهو يبتعد شيئاً فشيئاً عن نفسه .

وفي مساء ذلك اليوم رئي محمود وهو يدخن غليونه في مشرب مارلي بشارع قصر النيل امام مكتبة كتان .

كان قد تحرج من رفض الدعوة فوعده بالحضور . وكان يدرك انه في مثل هذه الساعة تماماً سيذهب ليفقد فتاته الهام . ولسنا نعرف

ما هو اسم عروس بائعنا محمود ، وليس من المستبعد ان يكون الهام كذلك ولكن لا تتسرع وتظن ان هناك حيلة قصصية تجعل من الهام عروس البائع هي نفس الهام الفتاة الثالثة في حياة محمود شابنا المثقف ، فوجود الهوات بين هذه الفئات تجعل حدوث هذه المصادفات امراً نادر الحدوث . ولماذا نذهب في الاستدلال بينما الواقع يقول لنا انه في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كانت هناك فتاتان ، احداهما تزف او تخطب الى محمود في حارة المغربلين رقم ٣ حيث اضيئت الكلوبات فأضافت الى الحر حرارة ، والاخرى تجلس مع محمود وهو يدخن غليونه في مشرب مارلي .

لم يكن محمود واثقاً من نفسه الى هذا الحد الذي به يعلق خطبته لفتاة على شرط تنفذه هي اولا . فهو يدرك انه ليس اسهل من فقده الفتيات ، فلقد فقد من قبل فتاة وفتاة غير انه كان يحس ان حياته اليوم قد وصلت الى مأزق ، وكان هذا هو الذي يقويه ويجعلنا نتوهم انه واثق من نفسه كل الثقة ، بينما هو لا يملك ما يضمن به اي شيء . ثقة اساسها الاستهتار . وهي ان نفذت هذا الشرط ربما نجا من هذا المأزق ، فان لم تنفذه فاما ان يظل يحيا حياته المنحرفة المظلمة الكئيبة ، واما ان يتزوجها فيرتبط بها ارتباطاً سخيفاً من نوع ارتباطه باللفائف والتبغ ، حيث يقيم معركة بينه وبينها من حين لآخر كي يجرب شخصيته ويمتحن ارادته . اذن لم يكن يرى الحرية — مثلما يراها بائع السجائر وامثاله — في الارتباط بمادة يحبها ويألفها . واذن لم يكن بينهما ما يمكن ان نسميه بالحب بل هو نوع من العملية الحسابية التي قام بها محمود وحده ورأى ان يشمل فيها الهاماً او يدعها الى الابد .

ولم يكن هناك غيرهما في المكان عدا اصحاب المشرب وخدمه وطلبا شراباً مثلجاً ثم شراباً ساخناً ثم آخر مثلجاً . ونضح العرق من وجهيهما وملابسهما وهما يتحدثان حديثاً فيه الضحكات حيناً وفيه الارهاق اكثر الاحايين . اما سكان المدينة فكانوا قد اكتظوا رجالا ونساء في دور السينما التي تعرض قصصها وضجيج موسيقاها في الهواء الطلق . وعندما ارتفعت درجة الرطوبة بحيث سجل مقياسها خمس عشرة درجة اصبح يخشى ازديادها فيتعرض بذلك خمسمائة على الاقل من سكان المدينة للموت بضربة الشمس . وفي الساعة الثامنة والنصف اذاع المذيع المرة الثالثة تقرير مصلحة الطبيعيات ، ويقول ان درجة الحرارة تستمر اربعاً وعشرين ساعة ثم في فجر اليوم التالي يعتدل الجو .

ولن اوهم القارىء بانني لا اعرف ما دار بينهما من حديث ، بل انني لادرك الآن مبلغ الرغبة في تعرف كنه هذا الحديث . ولكني اخلص اذا قلت انه حديث ليس من المستبعد ان يبدو تافهاً سخيفاً ، فما اكثر ما يجعل الآخرون سعادتهم تتوقف على شروط تبدو لنا من وجهة نظرنا تافهة سخيفة ، وفي مجرد سردها املال ومضايقة لنا . اليس من الافضل ان تجعله انت اي شرط يمكنه ان ينال من تقديرك بحيث يصبح اهلاً لخلق مأزق اذا لم يتم تنفيذه؟

على اية حال لقد رفضت الهام هذا الشرط ، رغم انها لا تمانع — ان لم تكن ترغب — في الزواج من محمود فقد كان هذا الشرط يحتاج منها الى ان تبذل قليلا من الجهد ، وهي ترى الا تبذل اكثر مما بذلته في سنواتها العشرين الماضيات . كان يطلب منها ان تكافح بعض الشيء لكي تصبح اكثر نضوجاً وثقافة ، وهو مطلب غامض لا معنى له لديها . وما كان ليطلبه الا مثقف مثل محمود ، فهو يرى انها بهذا فقط يستطيعان ان يعيشا معاً خيراً مما يعيش سيد مع خادمه . اما الهام فقد شكت فيما اذا كان محمود جاداً في علاقته القصيرة الماضية بها ، وجاداً فيما يطلبه منها الآن . كان كل منهما حراً مستقلا عن الآخر ، لم يعرفا بعد الحرية التي لا تحيا الا في الضرورة ، عندما يصبح كل منهما ضرورة للآخر .

وخرجا وذراعه ملتصقة بذراعها ، والعرق ينضح كثيراً من جسده واقل قليلا من جسدها كان يمكنه ان يتزوجها ، وكان يمكنه ان يدعها ، غير ان العقبة التي خلقها من اجل ان يحصل على الهام لم يستطع التغلب عليها .

وهو يمكنه الآن ان يستمر يحيا حياته الممزقة الكئيبة ، وهو يمكنه ان يرتبط بها ارتباطاً اسخف من ارتباطه بلفائف الدخان . وحاول عبثاً ان ينام . كانت غرفته شديدة الحر لا تطاق وكان يمكنه ان يخرج الى الطرقات يذرعها لو انها ليست اقل لهيباً ، فالقيظ يندلع في كل مكان . وعب كل ما في المنزل من مياه باردة حتى سبح في بحر من العرق فاضطر ان يخلع كل ملابسه وينام عرياناً . ومع ذلك فقد ظل ساهراً وهو يذكر انه عد في تلك الليلة مائة نجم فقدها فجأة فبدأ يعد من جديد .

وفي الصباح التالي اخذ الجو يعتدل . فبدأ يغفو قليلا قليلا ، بينما فتح محمود دكانه ومضى يرقب العابرين .

القاهرة — يوسف الشاروني

البوليرو

مهداة الى الصديق
الاستاذ عبد الغني العطري

●

الدكتور بديع حقي

برن - سويسرا

●



يا نديمي هَلَكَ اللحنُ ومـاتتْ كلُّ آهْ
هاتِ من روحِك ما يبعثُ في الناي الحيـاه
من نـداء الغـابِ مرَّ النَّسْمُ فيه ثم تاه
من حنينِ الدَّوحِ هلَّتْ في أعاليهِ صلاه
يا نديمي هاتِ من شكوى ووسواس المياه
ومن الرعشةِ في البَوحِ ومن هَمْس الشِفاه
نَغمةً عُلويَّة تنقــلُ شوقي للإِلٰه

***

طَرِبَ القِيثـارُ وانسـابتْ تهاويل رُؤاه
وهَفَتْ جِنِّيَّةٌ في الغاب وَلْهى في خُطـاه
تَتَروَّى مطلعَ اللحن وتجفو منتهـاه
تنفضُ النَّغمة حلمـاً وتسابيحَ وآه

***

وغفا القيثارُ فالتفَّتْ طيوفٌ لتراه :
حالمًا في ظِلِ لحنٍ ، صاحياً حول صداه
تسفح الخفقة والنقلة فجراً في سُراه
وتوافي سرحة الخاطر اطراف مداه
يتعالى ثم يتأد عليـلا ... وسواه
يقطفُ النشوة والغنجة من طيب جناه

***

وتهاوى . اي وهم ، في العشيات رواه ؟
وترٌ منـه جريحٌ ، تشرقُ القوسُ دمـاه
فاذا ما ضجَّ في عِطفيه تَوقٌ لهواه
يا نديمي مزّق الثوب وهب لي منك آه

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

☆☆☆

٣ ــ امثلة تدور

وهنا مسألة لا بد من الوقوف عندها قليلاً .

فقد جاء في العمدة لابن رشيق – « قال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع . وما سوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن » .

فالغريب في المسألة أن يلزّ هؤلاء « المثل » مع التشبيه والاستعارة في قرن فاذا سألنا لهم فيما يقولون فان اول شيء يخطر على البال هو .. ما الذي يجعل المثل « يسير » ؟ بعد ان رأينا فعلاً متى « تروع » الاستعارة . وكيف « يقع » التشبيه » . ثم لماذا اختار هؤلاء هذه الظواهر وحدها لتمييز الشعر الجيد .. وتركوا ما عداها؟

اما السؤال الاخير فالجواب عليه – وان كان هيناً يسيراً – يخرج بنا عن موضوع اللغة وصلتها بالحياة الى صميم الفن نفسه .. ولبحثه غير هذا المقام[1] . وما دمنا قد عرفنا التشبيه والاستعارة فلا اقل من ان نلقي نظرة على المثل ايضاً . حتى نتبين في تأليف الكلام على جميع وجوهه .. وجه الاسناد الذي نحن بصدد بحثه .

المثل

المثل – مهما قيل في تعريفه – لا يتعدى تجربة عامة يشترك فيها كل قبيل . ولولا هذا الاشتراك في التجربة نفسها لتعذر سيرورة المثل على الالسن .. وبطل كونه مثلاً .

وقد قيل ان المثل هو من قولهم «ماثل الشيء يماثله » اي صار مثله .. او من قولهم « مثل يمثل » ان حضر بصورته . وسواء اصح هذا ام ذاك فالمثل هو اشتراك في تجربة عامة يصح التمثل به في ظروف مشابهة وكأنه لسان حالها . فبدون التجربة التالية من قبل التمثل نفسه لا يصح للمثل معنى عملي . والتجربة نفسها تقتضي ظرفها من الزمان والمكان في حياة كل انسان . ولكنها لا تتقيد بجياته لشيوعها في القبيل . فيستحضر كل انسان على اثر تجربته التالية ما اقتضاه مثل هذا الحال من البيان في الماضي .. على لسان سواه .

ويتأتى الاشتراك في التجربة نفسها لكونها عامة يولدها المجتمع وتحتمها سنة الحياة . فيطبقه الانسان على الناس وعلى نفسه على السواء . ومن هنا هذه الحيوية في الامثال[2] .

تأمل مثلاً قولهم :

احدى لياليك فهيسي هيسي · لا تنعمي الليلة بالتعريس

او قولهم :

امرتهم امري بمنعرج اللوى · فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

او قولهم :

شتان ما يومي على كورها · ويوم حيان اخي جابر

فكل هذه الابيات تمثل بها الامام علي[3] في مواقف مختلفة من حياته لاسباب لا يجهلها التاريخ .

وقد ظل المثل هذا الاعتبار – في جميع اللغات – لانه طاقات تختزن فيها الانسانية تجاربها . ولذلك فان قديمه – في تاريخ آداب كل امة – مفضل على حديثه . فاذا استقل عندنا شعر المتنبي بعد ذلك – وبالرغم من ذلك – بالعدد الاكبر من الامثال السائرة . فمعناه انه كان اكثر خوضاً لمعترك الحياة وسبراً لاغوارها من سائر الشعراء . والامم لا تحرص حرصها على هذه الامثال الا لما فيها من الطاقات المخزونة التي تزيد افرادها خبرة بالحياة في حدود مجتمعهم . وتوسع بالتجارب حولهم آفاقها .

فالمثل – بدون شك – يخدم غاية مزدوجة هي اجتماعية

---

(١) راجع « ما هو الفن ؟ » (الاديب – ١٩٤٨) .

(٢) راجع « الامثال في الشعر العربي » (العروبة ١٩٣٦) .

(٣) راجع « نهج البلاغة » .

وتاريخية في آن : لانه عامل — بعصاه السحرية — للجمع بين تجربتين، نستعرض فيه الثانية على هدى الاولى . . او بعبارة اوضح نستجلي مجتمعنا في ضوء التاريخ فموقفنا به . . وكأننا نتلمس طريقنا في صرح . . كالزر الكهربائي الذي نضغط عليه ضغطاً يسيراً فينير في لمحة ارجاء ما يبدهنا في سراديبه واروقته من ظلام .

فذلك الذى جعل للمثل « السائر » عند القدماء هذا المقام الرفيع . لان وراء كل مثل قصة . . هي الحياة بصورة مصغرة . واذا كان المحدثون قد تهاونوا في امر الامثال، وقلّ اعتبارها عندهم فذلك لانهم — وهم في التيه — اخذوا يتلمسون لكشف معميات الحياة وسبر اغوارها طريقاً وعراً شائكاً غير هذا الطريق الواضح السهل . . بعد ان ضلوا مسالكهم المطروقة في التاريخ . فالشعر اليوم اصبح — بايحاء هؤلاء وتأثيرهم — انطوائياً[٤] . . ينطوي فيه الشاعر على نفسه ، لا اجتماعي — كفعله بالامس — يستهدف شئون المجتمع .

ان الروح الاجتماعية — في المثل بصورة خاصة . . وفي الشعر بوجه عام — هي التي كانت تجعل للامثال هذا الشأن في الماضي . فطالما البستها ثوب الحكمة — التي دأبها تشرف على الحياة من عل[٥] — لتسمو به مثلها (اي الحكمة) الى هذا المستوى من الشعر الرفيع .

وقد كان يتسنى لهذه الروح التي تشرف على الحياة من عل — وحدها — ان تدير في آفاقها الواسعة احياناً نظرة الطائر . . فتجمع بذلك — في نظرة خاطفة — بين الضدين . فيما يسمونه بالطباق . فما هو هذا الطباق ؟

(د) الطباق

لقد اختلفوا في اصل هذه الكلمة فكان احسنهم تعليلاً الاصمعي اذ قال هو من قولهم « طابق الفرس يطابق » اي وضع الرجل موضع اليد في مشيه . ويظهر انهم اصطلحوا عليها للمقابلة بين معنيين متضادين في نظرة شاملة . كما هو الحال في قول ابن الدمينة .

لئن ساءني ان نلتني بمساءةٍ   فقد سرني اني خطرت ببالكِ

ففي الطباق معنى الشمول . . كالحكمة[٥] . لانه — مثلها — لا يكتفي في الوصف بالنظرة الاولى . بل يعيدها كرة اخرى وراء الصفة حتى يجمع بين طرفيها . . في اسلوب رائده الايجاز . وسواء أكانت المطابقة بين الذوات كما في قول المتنبي .

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

ام في صفاتها . كما في قوله :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته   وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ام في احوالها . كما في قوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فان الضد في الفن — كما في الحياة — لا يظهر حسنه الا الضد وصدق صاحب اليتيمة :

ضدان لما استجمعا حسنا   والضد يظهر حسنه الضد

ولقد كان للمتنبي — وهو الشاعر الحكيم — الحظ الاوفر في المقابلة والطباق لنفاذ نظرته في حقائق الامور . ومن الخير ان تطيل — معي — التأمل في بعض ابيات له . . في تجارب العمر وعبرة الحياة . . لتدرك الى اي مستوى كانت تتطاول روح هذا الشاعر العظيم لتلقي — من عل — نظرتها الشاملة فن غيره قال على رؤوس الاشهاد :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب
نصيبك في حياتك من حبيبٍ   نصيبك في منامك من خيال
اني لأجبن من فراق احبتي   وتحس نفسي بالحمام فأشجع
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله   ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فكثير من السؤال اشتياق   وكثير من رده تعليل
ضُربن الينا بالسياط جهالةً   فلما تعارفنا ضربن بها عنا
فكان اثبت ما فيهم جسومهم   يسقطن حولك، والارواح تنهزم
وغاية المفرط في سلمه   كغاية المفرط في حربه
والغنى في يد اللئيم قبيح   قدر قبح الكريم في الاملاق
واذا اتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل
في الناس امثلة تدور حياتها   كمماتها ومماتها كحياتها

وهكذا الى آخره ولعل في هذه الامثلة دليلاً كافياً على ان الطباق يكون في فعلين . . او احياناً حرفين . . كونه في اسمين . ولكن العبرة في كل ذلك هي النظرة النافذة التي تتغلغل وراء ما يبده العين في شئون الحياة الى حاليها من السلب والايجاب، لا لمجرد الموازنة بين الكلمات .

وفي الحق ان الدوافع التي تدفع الملهمين على الطباق هي — في صميمها — الاهتداء الى موضع العبرة في شؤوننا الارضية التي لا تخلو كل احداثها في اظلم ساعاتها من جانبها المضيء . وهل يقدر ان يستخلص هذه العبرة الاذو البصيرة النافذة من ابنائها الذين يبقون على الفطرة . فيتجردون — ساعة التجلي — من نير الاهواء . لئلا يخونهم في تجربتهم التوفيق .

وتأكد ان الطباق قديم قدم الانسانية . ولا شأن له بالبديع ومحسناته كما يعتقد المتأخرون . الا ترى كيف يقول شاعرنا القديم

فان اكُ في شراركم قليلاً   فاني في خياركم كثير

فيصيب هدفين بسهم واحد .

البحرين   ابراهيم العريض

---

(٤) راجع الفصل الخاص بالاسلوب الرمزي في « كتاب الاساليب الشعرية »
(٥) راجع « بين الحكمة والفن » (الاديب - يناير ١٩٥٠) .

البرد لا يميت او ادخار الحياة

بقلم محمد عبد الرحمن مرحبا
ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

تأبى الحوادث الا ان تجعل الالمان آباء كل نظرية انقلابية في العلم وواضعي بذورها الاولى. فالعبقرية الالمانية كانت وما تزال عبقرية فذة في التاريخ ليس كمثلها عبقرية. فهي التي انجبت بذور القنبلة الذرية وكذلك بذور القنابل العلمية الاخرى، وما على الانكليز والامريكان واحلافهم الا ان يستغلوا هذه البذور ويتعاهدوها توسعاً واستمراراً وهذه كلمة اقولها للتاريخ انصافاً للعبقرية التي جحدها عاقون كانوا عيالا عليها.

ففي نهاية الحرب العالمية الثانية استولت القوات الامريكية على جميع محتويات كهف هملر الخفي في الجبال التي تقع قرب هلاين بالنمسا. ولقد كان يوجد بين هذه المحتويات الثمينة تقارير علمية سرية على اكبر جانب من الاهمية جاء في عنوان احدها «علاج الصدمة الناشئة من التعرض الطويل للبرد» ولقد اهتم الجيش الامريكي بهذا التقرير الفذ كعادته وبعث به الى هيئة النشر.

وقد كان في جملة الاغراض التي يهدف اليها هذا التقرير غرض عملي يبتغي الوصول الى نتائج حاسمة فيما يتصل بخير علاج للاشخاص الذين انقذوا من براثن البرد بعدما تعرضوا له زماناً طويلا.

وكانت المعلومات المتعلقة بهذا الصدد ناقصة لا تفي بالغرض، اذ لم يكن معروفاً بعد ما اذا كان تعريض الشخص المستخلص للحرارة مرة ثانية ينبغي ان يكون سريعاً ام بطيئاً، وهل يجب استخدام المنبهات ام لا ؟ والخلاصة ان السبب الحقيقي للموت بالبرد كان سراً خافياً.

ولقد تمخض القسم الاول من التجارب المبدئية التي اجريت على الانسان عن حقيقة مهمة على جانب كبير من الخطورة، لانها جاءت على نقيض ما كان متوقعاً من قبل حيث كان يظن ان اعادة الجسم للحرارة اعادة فيها تدرج وحذر تأتي بخير النتائج. ولكن التقرير يؤكد ان معالجة الجسم بالحرارة دفعة واحدة سريعة، وذلك بتغطيسه في حمام تبلغ درجة حرارته ١٤٠ فهرنهيت، تقدم فرصة كبيرة للشفاء. وتتيح احسن الامل في رجوع الحياة

ان هذه النتائج كانت ثمينة للغاية، ولكن لم يكن فيها عنصر يثير النفوس.

فما كان يثير النفوس حقاً هو ان بعض الضحايا الذين خيل للناس انهم قد اصبحوا في عداد الاموات لم يموتوا فعلاً: صحيح ان ضربات القلب والنبض والتنفس جميعها قد توقفت فيهم ! وكذلك قد هبطت حرارة اجسامهم الى ما تحت العشرين درجة. فطبقاً للقواعد المتبعة كان على الاطباء ان يعتبروهم امواتاً. ولكن لا، اذ يمكن غالباً ان تنفخ الحياة فيهم من جديد ! فبحرارة جديدة دفعة واحدة تستأنف وظائف الحياة من جديد وتعود المياه الى مجاريها ! فالموت الذي بلغه هؤلاء. كان موتاً في الظاهر فحسب ! !

ترى ! هل من المحتمل ان تكون هنالك منطقة مجهولة بين الحياة والموت؟ هل من وسيلة لاحداث موت ظاهري بمحض الارادة؟ لعل النوع الانساني يستطيع يوماً ما في المستقبل البعيد ان يعطل الحياة فترة من الوقت لادخارها الى فترة اخرى ؟

انا نلقي بهذه الاسئلة القاء، فهي تواجهك حيثما كنت وانت تدرس التقرير الالماني الخطير الذي بين يديك. ولكن لن تنتظر طويلا فمعظم الاجوبة تأتي من ذاتها.

وان ما جعل التجارب الالمانية تجارب انقلابية بالغة الاهمية انما هو الدليل الجديد الذي قدمته على ان الفرق بين ذوات الدم البارد وذوات الدم الحار ليس امراً جوهرياً بالدرجة التي تظن.

ان مقاومة ذوات الدم البارد وبذور النبات والكائنات الحية الجرثومية والفروسات ضد الحرارة الواطئة جداً قد عرفت منذ زمان

طويل . فالبكتيريا تعيش في الصقيع سنوات ثم تعود الى الحياة من جديد ، حتى ولو تعاقب عليها ذلك عشرين او ثلاثين مرة.

ولقد اصابت الوسائل العلمية اليوم نجاحاً كبيراً في حفظ حياة الكائنات الحية الجرثومية الى ما شاء الله بواسطة الحرارة الوطيئة ومما له مغزاه ايضاً ان الحرارة المنخفضة جداً اسلم للكائن الحي بكثير من درجة حرارة الصقيع : فالمستنبتات البكتيرية التي يمكن ان تموت سراعاً في درجة صفر فهرنهيت يمكن ان تظل حية سنوات عدة في درجة مئة فهرنهيت تحت الصفر او اقل من ذلك. وهناك واحدة من هذه المستنبتات بلغت درجة حرارتها ٤٢٠ ف. تحت الصفر اي قريباً من الصفر المطلق ، ومع ذلك فقد كانت النتائج عظيمة للغاية. واذن فالبرد لا يميت.

ومما يثير النفوس ايضاً تلك التجارب التي اجريت على صناعة الغذاء المثلوج فأتت بنتائج مماثلة للتجارب على الاحياء. فالطرائق القديمة المستعملة في الحفظ بالثلج دون درجة الصقيع قليلاً لم تكن لتجدي جدوى كبيرة. ولم تأخذ صناعة الطعام المصقع في التقدم الا بعد ما اكتشف مستر بردسي ميزات التصقيع السريع دفعة واحدة بواسطة الحرارة المنخفضة جداً.

فليت شعري ما هو السبب في ذلك الفرق بين برد وآخر ؟ لماذا نجد ان الحرارة المنخفضة جداً اسلم كثيراً للكائن الحي ؟ ان احداً لم يعرف ذلك على وجه التأكيد عندما بدأت التجارب.

كثيرة هي النظريات التي قيلت في تفسير ذلك ولكن لم تجرب واحدة منها . فها هي ذي نظرية « البلورة الكبيرة » لا يزال لها ابطالها : ففي التصقيع البطيء تتكون بلورات كبيرة ، بينما في التصقيع السريع حتى درجة الحرارة الواطئة تتكون بلورات صغيرة جداً . ولعل هذا يفسر الضرر الفادح الذي يلحق بالخلية الحية سواء كان كبيراً ام صغيراً .

ولكن كيف السبيل لنا الى تفسير هذه الظاهرة : وهي ان الجسم اذا نقل بسرعة الى حرارة معتدلة بعد تصقيعه في درجة حرارة منخفضة فان الكائنات الحية تموت ايضاً .

ان الاذى الذي يلحق بالخلية الحية يجب ان تكون له اسباب اخرى غير الاذى الميكانيكي الناتج عن التكون البلوري . فما هي هذه الاسباب يا ترى ؟ لم يعلم ذلك من احد .

ذلك كان الموقف عندما بدأ العلماء الالمان سلسلة تجاربهم على البرد . وكما قام في الاذهان هذا السؤال العملي : كيف نعامل الاشخاص المصقعين ؟ فكذلك قام سؤال نظري آخر : لماذا يكون التصقيع السريع للخلايا الحية حتى درجة الحرارة الواطئة اقل ضرراً بكثير من خفض الحرارة المتدرج ؟

ولكن وراء هذا السؤال الاخير قام سؤال اخر يتعلق بسر من اكبر اسرار الطبيعة الا وهو : اذا كان البرد نفسه لا يميت ذوات الدم البارد فلمَ تموت ذوات الدم الحار من البرد بصرف النظر عن الطريقة المستخدمة في خفض الحرارة ؟

بل يمكن صوغ هذين السؤالين في سؤال واحد ! اذا كان البرد لا يميت فماذا عسى ان يكون اذن السبب في الموت الناشىء من التعريض للبرد ؟

لقد كان يبدو للعلماء الالمان ان جميع النظريات السابقة تعاني من ضعف اساسي واحد ، فهي لم تلاحظ ان الحرارة التي ازيلت من حيوان ذي دم حار بطريق التبريد تشتق من مصدرين يختلف احدهما عن الآخر اختلافاً تاماً : (١) من رصيد الحرارة المدخرة في الجسم (٢) وكذلك من الحرارة الاضافية التي ينتجها الجسم بنشاط زائد في حمأة التبريد .

لقد خيل للعلماء الالمان بادىء ذي بدء ان الآلية الضابطة المسؤولة عن حفظ حرارة ذوات الدم الحار عند درجة ٩٨ ف لها الشأن الاكبر في الموت من البرد . فلقد استهلوا عملهم بافتراض انه يجب البحث عن السبب في هذا الموت ابتداء من تلك النقطة التي تتميز بها ذوات الدم الحار من ذوات الدم البارد .

والميزة الاولى انما هي ان الحيوان ذا الدم البارد يكيف حرارة دمه للبيئة بدلا من ان يعمل على حفظها على درجة ثابتة .

لكن الامر اعمق من ذلك كثيراً : ففي ذوات الدم البارد نجد ان المادة في الدم التي تسلك كحامل للاكسجين تكون فعالة في درجة من الحرارة اقل كثيراً منها في ذوات الدم الحار : فدم

الضفدعة في درجة ستين فهرنهيت لا يزال فعالا بمقدار ٥٠٪ كحامل للاكسجين ، واما دم الانسان فانه اذا برد الى نفس هذا المستوى من الحرارة فانه يفقد تماماً القدرة على اقتناص الاكسجين او اطلاقه .

فهذه الخصوصية لدم ذوات الدم الحار هي التي تفسر بالدرجة الاولى تلك الاضطرابات الناشئة عن التعرض للبرد . ولكن المهم اكثر من هذا انما هو الحاح الجسم بطلب الاكسجين الحاحاً مدمراً بسبب الآلية الضابطة التي تجاهد عبثاً لحفظ حرارة ذوات الدم الحار عند درجة ٩٨ ف . وعواقب هذه الزيادة وخيمة للغاية . فالحيوان ذو الدم الحار يموت في البرد لا لشيء الا لنقص الاكسجين وان الاعراض التي ظهرت على خنازير غينا التي اجريت عليها تجارب البرد في راشواشفنس شابهت بشكل غريب تلك الاعراض الناشئة من مرض التصعيد في الجبال الذي لا ينشأ الا من نقص الاكسجين .

ويظهر ان الموت من البرد لا يحدث الا من نقص الاكسجين ، فما دمت قادراً على الاحتفاظ بحد اوفى من الاكسجين بوسيلة ما – بزيادة الضغط الاكسجيني مثلاً – فلا حرج مطلقاً من البرد . لكن بمجرد ان ينقص الاكسجين عن الحد المطلوب فان الموت يعاجل صاحبه .

وهكذا يمكن ان نقرر واثقين ان موت ذوات الدم الحار من البرد انما هو موت من نقص الاكسجين .

او ليس هنالك من امل ياترى في ان ذوات الدم الحار تستطيع ان تضاعف تحمل ذوات الدم البارد وتعيش على حرارة واطئة جداً ؟

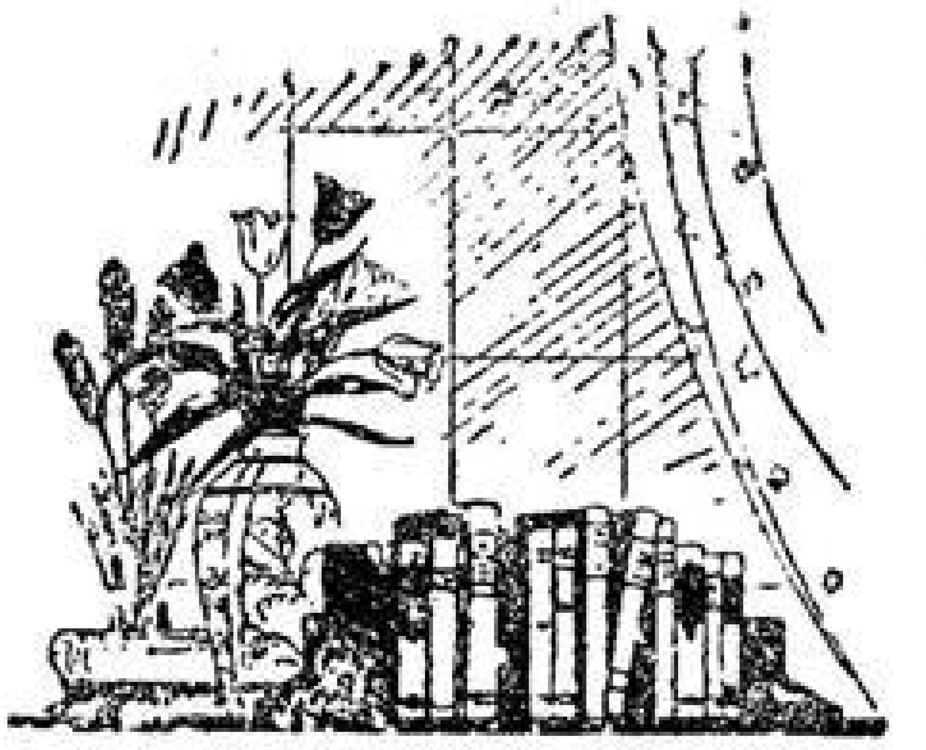
ان الجواب النظري المثير للنفوس الذي ند عنه التقرير الالماني هو : اجل هنالك امل من هذا القبيل .

ان كفاح الحيوان ذي الدم الحار لحفظ حرارته عند درجة ٩٨ ف . له حد يقف عنده . فاذا ما سار التبريد بطيئاً فان ذلك الكفاح اليائس يجلب الموت الزؤام او اما اذا امكن الاحتفاظ به حياً في منطقة الخطر التي تبدأ تحت ٩٨ ف وتنتهي عند درجة الصقيع ، فان الحيوان ذا الدم الحار قد يستطيع ما استطاعه الحيوان ذو الدم البارد ويتحقق بقانون حياته !

ان النظرية غير المعقولة « الكل او لا شيء » للحيوان ذي الدم الحار قد مضى عهدها : فاذا ما كانت الحرارة واطئة بدرجة كافية فان الحيوان ذا الدم الحار يكيف نفسه لاحوال البيئة كما يفعل بالضبط الحيوان ذو الدم البارد .

ولقد القت تجارب العلماء الالمان ضوءاً كبيراً على حقيقة معروفة

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٦ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ / المنزل : ٣٧ – ٤٨ }

Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 }

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

منذ زمان طويل ، ولكنها غير مفهومة وهي ان التصقيع السريع حتى درجة الحرارة الواطئة هو العامل الحقيقي على انقاذ الحياة . فهذه التجارب قد اظهرت ان القانون القائل ان البرد لا يقتل ينطبق على جميع الاحياء بلا استثناء سواء في ذلك ذوات الدم الحار وذوات الدم البارد .

ان الموت لا يحدث الا اذا ظلت الخلايا الحية في منطقة الخطر الآنفة الذكر مدة طويلة ، واما اذا سار التبريد بسرعة كافية فان اعراض نقص الاكسجين تختفي تماماً : فعملية التمثيل الغذائي للخلية الحية يمكن اغفالها في الحرارة الواطئة ؛ على ان تبلغ درجة ٤٦٠ ف تحت الصفر . ان جميع التفاعلات الكيماوية وجميع وظائف الحياة تقف عند هذه الدرجة من الحرارة . بيد أننا قد اخطأنا كثيراً عندما ظننا ان هنالك مقابلاً واحداً للحياة — هو الموت . فان ما اعقب جميع اعراض الحياة التي قد كفت في البرد الشديد انما هو موت في الظاهر فحسب او سكون مؤقت تام لجميع وظائف الحياة . ولكن — وهذا هو الجديد في الامر — هذه الحياة يمكن استئنافها من جديد بمجرد ان تبدأ حركة جزئيات الحيوان : وذلك بامداده بالحرارة والاكسجين

لقد منيت الجهود التي بذلت حتى الآن لزيادة اجل الحياة بالفشل الذريع . فاذا ما امكن للعلماء زيادة متوسط عمر السكان فذلك انما يرجع الى الحملة الظافرة التي شنها العلماء على الامراض المميتة ، فظفرنا اليوم انما هو ظفر احصائي فحسب .

واما اليوم فلقد جاءنا عون جديد لم يكن بالحسبان من الجانب الثالث من الحياة : اننا قد لا نستطيع ابداً ان نضيف سنوات الى نضجنا وعمرنا الواعي ، ولكن يبدو انه سوف يكون في مقدورنا بعد اليوم ان نرجع الى الوراء ، الى حالة من اللاوعي شبيهة بحالة ما قبل الولادة ، واننا نستطيع ان نولد من جديد .

انه ليترتب علينا عندما نفكر في النتائج المحتملة : فالخلود المحدود اوشك ان يكون في حيز الامكان . فلقد يكون في مقدورنا اطالة الحياة بمحض ارادتنا ، وذلك بتصقيع طاقة ابداننا باتخاذ حالة ثالثة يتوقف فيها الزمان البيولوجي ، وما ذلك الا لان عمليات الكائن الحي تتوقف في الحرارة الواطئة جداً وتخبو مؤقتاً شعلة الحياه الى اجل غير مسمى .

لنتصور الآن بعض وجوه الحياة المعلقة على هذا النمو فماذا عسى ان يعني ادخار الحياة بواسطة البرد في مجال تربية الماشية ؟ يجب ان يعفي الزمن على هذه الايام التي يكون على الحيوانات حديثة السن فيها ان تذبح نظراً الى نقص العلف . فاستبقاء الحياة بواسطة البرد سيكون جواباً لهذه المسألة ربما يقر التوازن بين الماشية والعلف .

وان فكرة التصقيع اذا ما طبقت على الشخص السوي فانها تفتح آفاقاً جديدة يرتعش لها الفكر كما يرتعش لرحلة تضرب في اعماق الفضاء : ومع هذا فان الاتصال باجواز السماء بواسطة الطائرات النفاثة قد دخل في حيز الامكان .

وكذلك ان التصقيع العميق يمكن ان يكون قنطرة لعبور قرون متطاولة من الزمن . ومن الطبيعي الا يكون ذلك ارهاصا بالخلود ، وكذلك ليس هو حياة بعد موت . وانما هو مجرد طريقة علمية فعالة لقهر الزمان كما تم قهر المكان .

فكثيراً ما يتأتى لنا ان ندفن في بطون المعارض او اثناء وضع حجر البناء ، محافظ تحتوي على الكتب والوثائق والعدد والاجهزة التي تمثل حضارتنا القائمة لتخبر الاجيال المستقبلة بعد مضي ٥٠٠ او ١٠٠٠ عام ماذا كانت عليه حضارتنا اليوم . فكيف بنا اذا استطعنا ان نضع كائنات حية في آثار تذكارية من هذا القبيل ؟ كيف بنا اذا استطاع كائن انساني ان يرتضي بملء رغبته فقدان وعيه ويتنازل عن عمره الى اجل مسمى بواسطة التصقيع ، كما يرتضي المريض تخدير جسمه ، لانه واثق من انه سيعود الى رشده مرة اخرى ؟ ان المخدر لا يعمل اكثر من بضع ساعات ، و اما التصقيع فمن الممكن ان يؤجل عودتنا الى رشدنا سنوات او عشرات السنين بل قروناً عدة فطوبى لمن سينتقل عبر الاجيال ويشهد احوال الحضارة بعد آلاف السنين ؟ هنالك سيكون من شأن الفرد ان يبت في امر مستقبله في الوقت المضروب ، وان يقرر متى سيعود الى العمل والخلق والحب وبكلمة واحدة متى سيعود الى الحياة !

ان قهر الزمان والمكان اللذين قد حدثا في وقت واحد تقريباً يجب ان يكون له مغزى عميق في حياتنا وان يحدث دوياً هائلاً في التفكير البشري اكبر من الثورة الكوبرنيقية ومن نظرية التطور .

لعلنا الآن نعيش في زمن يقع في ختام الفصل الاول من التاريخ الانساني يولد الناس فيه بطريقة تقليدية محافظة ويقنعون فيه بان يعيشوا قرابة ستين او سبعين عاماً ويموتون فيها على الطراز القديم بعد قرار طبيب العائلة .

ان الكثيرين سوف يتطلعون الى صفحات الفصل الثاني بجذر شديد ، والزمان وحده هو الكفيل باعطاء الاجوبة الحاسمة .

اننا لن ننتظر طويلاً . . ومن يعش يره ! . .

القاهرة

محمد عبد الرحمن مرحبا

الاولمب

لجوزيف معا

زحلة

●

●

الى خليل مطران



خطرت مواكبها تحث جيادا وتشف في وطن النجوم وهـادا
وتقول هذا موطن ، فاجيبها لا ارتضي غير « الاولمب » بلادا

***

يا بعلبك قبست منك شرارة فبلغت من دنيا الفنون مرادا
وتركتها وضاءة في خاطري حاشا ضياءك ان يحول رمادا
هذا فؤادي قد عرفت مراسه اسلمته ليد الهوى فانقادا
علمته بوفـائك ما معنى الوفا وغدا على عاداته فاعتـادا
حتى رآك فصاغ فيك قريضه ، ما زدته كرماً يزدك ودادا

يا بعلبك هنا تدفق خاطري وبوصف مغناك الطروب اجـادا
لله عهدك ما احب لشاعر لبس السكوت عـلى نواك حدادا
واليوم عدت الى رباك وفي يدي عبق عن الوادي اليك تهـادى
هذا نداؤك في الضلوع احسه أيليق بي ان اخلف الميعـادا
اشتاق اطلال « الاولمب » فارتمي بين الهياكل انشد الابعـاد
اتلمس التاريخ في جنباتهـا فاراك فيه مقلة وفؤادا
لله فنان بناك فابدعت للفن كفاه حـلى وقلادا
قد يخلق الازميل بين بنانه تحفا ، وينطق في الرسوم جمادا
تتواثب الاحجار ان مـا مسها عجباً ، وتأتزر البقا ابرادا
نال الفناء من الدنى وعصيته ما زلت في جنب الفناء قتادا

***

اطلعت للدنيا « الخليل » فكان ما قد كنته سمح الفؤاد جوادا
رجل تفرد بالخلود فصاغ من دنياك دنيا للسماك تمادى
خلق كما شاء الربيع ورفعة ركزت على امجادك الامجـادا
غناك حلم العبقرية والهدى واليك القى بالشموس قيـادا
غناك اعراس البطولة والعلى وحباك من اتراحه اعيـادا

***

يا بعلبك « خليل » هيكلك الذي ملأ الحياة محبة وجهادا
فاذا بذكرك ملء ديوان الصبا كم هز باسمك للعلى اعوادا
لك هيكلان على الزمان تمردا من منهما ابقى الغداة عمـادا
اني اراه بشاعر ما ان مضى حتى احالك كوكباً وقـادا
ما كان الا النسر هيض جناحه من بعد ما ملأ السما إرعادا
فاذا تناثر ريشه فلطالما نثر الجمان وطوق الاجيادا

***

يا بعلبك كسوت شعري رقة وجعلت لي عرش القريض وسادا
علمتني معنى الوفاء فكان لي شرف السباق اذا الوفـاء تنادى
لولاكِ ، لولا شاعر احببته لم انشر الآصال والآبادا

الخاتم الالماسي

بقلم شاكر مصباح

قصة

لمحة

من البريق الخاطف سلطها على عيني ثم مضى في طريقه مسرعاً وهو يلتفت نحوي في حذر .. ايها الرجل ، لماذا لم تدعني وشأني ؟! وتثاقلت خطاي كأنها تستحثني على الاوبة اليه ، ولم لا اعود اليه ، لِمَ ؟ ! خاتم من الماس .. فرصة العمر .. انها فرصة العمر ، متى يذوق اصبع زوجتي طعم الالماس ؟! واستدرت على اعقابي اخطو في تمهل وتردد . افلسنا بشراً ؟ افلا يحق لنا ان نحلم بما ينعم به المترفون من زخرف الحياة ؟! وزوجتي ؟ زوجتي ، ما ذنبها ؟ شاء لها سوء الطالع ان تقترن برجل لا يملك من متاع الحياة سوى مرتب ضئيل ، ومررت بجانبه : هذا الشعر الكث المتجمع على رأسه الكبير كأنه كوم من الوحل ، هذان الحاجبان الكثيفان كأنهما صوف منفوش ، هذه العيون الصغيرة البراقة كعيون القطط ، هذه القسمات البارزة الكريهة .. يا الهي ، ليس في وجهه ما يثير العاطفة الودود ! ان قدمي لا تقويان على الوقوف امامه ، وان عيني لتدوران في محجري بسرعة خارقة ، والشارع خال الا من بضعة انفار تلوح على سيمائهم امارات البلادة . ايها الرجل ، ماذا تريد ؟ ماذا تريد مني ؟!

وسار الى جانبي مضطرب الخطى ، وقلب الخاتم في باطن كفه فخطف بريقه انظاري . احقاً .. احقاً ان في وسعي اهداءه الى زوجتي الحبيبة ؟ ! يا للمصادفات ! غداً سنحتفل بمرور عامين على تكوين شركتنا السعيدة .. اغمضي عينيك يا امينة . والآن افتحيها ، لن تصدق في اللحظة الاولى بالطبع انه خاتم من الالماس الثمين . قال الرجل وهو يرمقني بنظرات محترسة ويتلفت حوله في تخوّف : ابودك يا سيدي ان تقتني هذا الخاتم ؟ انه من الالماس النادر .

واضاف وهو يبتسم ابتسامة ماكرة : لن تجده غالياً على اية حال .

قلت له وانا اتحامل على نفسي وابتسم ابتسامة الواثق من فراسته : من اين سرقته ؟

اضطرب الرجل وساد الارتباك حركاته ، وغمغم وهو يتلفت حوله في خوف : لا ترفع صوتك يا سيدي ، انني لست لصاً ، اقسم لك بالله انني لست لصاً ، لقد عثرت به في احدى سيارات الاجرة التي اعمل في تنظيفها .

ان لهجة الرجل تفيض بالصدق ، ولعله عثر به في سيارة أجرة حقاً . ولم لا ؟! في ذلك اليوم شاءت احدى السيدات الثريات ان تعرض زينتها على عابري الشارع ، فمنحت سيارتها اجازة ومشت تتهادى في تيه وخيلاء ، والناس يضربون من حولها نطاقاً .. نطاقاً من نظرات تتوهج اعجاباً بزينتها الرفيعة او حليها الغالية او دبها القطبي الرائع ، اعني فروه الذي تردفه على كتفيها . وطبيعي ان تحس بالالم يدب في قدميها عقب مسافة قصيرة ، فاكتفت بما ربحته من نظرات الاعجاب وما جادت به من نظرات الترفع والكبرياء ، ونادت سيارة اجرة لتعيدها الى مغناها . وتراخت على مقعدها الخلفي متعبة كأنها حجت بيت الله الحرام سيراً على الاقدام كما يفعل بعض فقراء الهنود . وطارت ذبابة في جو السيارة واجتذبها بريق الخواتم وحطت على يد السيدة . وبدون ان تفتح عينيها وتلوث انظارها بمشهد الذبابة نفضت يدها في عنف واشمئزاز ، فانفلت احد خواتمها الالماسية واختفى في ركن من قاع السيارة . وسواء اشعرت السيدة بسقوطه ولم تشأ ازعاج نفسها بالبحث عنه ام لم تشعر ، فالذي حدث ان هذا الرجل عثر به حينما استؤجر لتنظيف السيارة ، هذا جائز ، فما الذي يدعوني الى التشكك في زعمه ؟! ومع ذلك ..

ومع ذلك فانه سارق بحكم القانون .

قلت في لهجة ثابتة دون ان انظر اليه : يؤسفني ان اصحبك الى مركز البوليس ، فالقانون يعاقب من يحتفظ لنفسه بالاشياء المفقودة التي يعثر بها .

فغمغم الرجل بلهجة فزعة : ارجوك يا سيدي ارجوك .. انا لا اعرف هذه القوانين التي تتحدث عنها أفمن العدل ان تسوقني الى السجن دون اثم اقترفته ؟!

وحومت على شفتي ابتسامة ساخرة . حقاً ، أفمن العدل ان اسوقه الى السجن ؟! اعدل هو ؟! لعل صاحب هذا الخاتم في غير حاجة اليه ، فماذا تهمه عودة الخاتم الى حوزته وهو موفور الثراء ؟! بل انه يرى فيه معدناً غير ذي قيمة كبيرة اما هذا الرجل فالخاتم يساوي لديه اكثر من قيمته انه لا يرى فيه معدناً فحسب ، وانما يرى

فيه خبزاً وكسوة واطمئناناً، بل شرياناً لحياته، ثوبه هذا، وتفحصت جلبابه الطويل المائل اللون بنظرة سريعة، ولعله ينوي استبدال ثوب جديد به. واذا كان زوجاً لامرأة محبة فلعله يعتزم ان يهديها رداء جميلاً، شأني تماماً وانا آمل ان اهدي هذا الخاتم الى زوجتي الحبيبة ثم تلقيه المقادير في سبيلي، شخص يحترم القانون ليحقق العدالة، واقوده الى السجن كما تقاد الشاة الى الذبح، ويدور في اروقة السجن الضيقة المظلمة الرطبة التي اعدت للانتقام من اعداء العدالة، ويطارده الحارس بعصاه الغليظة ليلقنه مبادىء العدالة، ويتضور اطفاله جوعاً في انتظار رحمة السماء! وهمس الرجل بلهجة ذليلة: الا تعتزم شراءه يا سيدي؟

فتفرست في وجهه قليلاً ثم قلت بلهجة جامدة: بكم تبيعه؟

فأجاب ببطء وهو يحدق في وجهي كأنه يحاول ان يستشف تأثير جوابه في نفسي: بخمسة دنانير.

خمسة دنانير. تعني ثلث راتبي الشهري. سيؤدي ذلك الى عجز في ميزانيتي يلازمها طول العام. ولكن هذا الخاتم «يجب» ان اشتريه. انها فرصة العمر، وظللت افكر صامتاً. ثم لمعت في ذهني خاطرة. وفي اعقابها تغيرت ملامحي واكتسى وجهي بطابع الخبث، التفت اليه وعلى ثغري ابتسامة ماكرة. ورميته بنظرات متخابثة دون ان انطق حرفاً، وظلت عيناه معلقتين بشفتي متلهفاً لتلقف الجواب، وخامرتني لذة غامضة وأنا ارقب لهفته وتحرقه للجواب. انعطفت في شارع عرضي وأنا ارمقه صامتاً، فانعطف معي وهو غارق في حيرته وقلقه وخوفه. وترامى الى مسامعي صوته الخائر وهو يهمس بلهجة مرتعشة: بكم تشتريه يا سيدي؟

فأجبته ببطء دون ان احول عنه انظاري: لست ادري. يخيّل اليّ انني سأصحبك الى مركز البوليس فأنت لص اثيم ولا بد ان تستوفي عقابك.

فتجاهل جوابي واستأنف همسه! هات اربعة دنانير.

ومددت اليه يدي قائلاً: دعني افحصه اولاً.

ناولني الخاتم متردداً.. يا لبريقه الخاطف! لكأن هذه الالماسة المتألقة احدى النجوم المتوهجة في ليلة صفت سماؤها! ودسست يدي في جيب بنطلوني وانا ارمق الرجل بنظرات الغالب المنتصر. انه حصل على الخاتم بلا ثمن، فلماذا ادفع له مقابله ثمناً؟! هو في حاجة الى ثمنه، وانا في حاجة الى هذا الثمن ايضاً. قلت بلهجة استخفاف: بكم تبيعه؟

فأجابني في تخاذل: بثلاثة دنانير.. ثلاثة دنانير فقط. الا يلائمك هذا الثمن البخس؟!

فقلت بلهجة تنبىء بالتحدي وانا انظر اليه في ثبات: ولكنني انوي ان انقدك مقابله شيئاً.

فقطب جبينه وهتف بلهجة مبهورة: حرام عليك يا سيدي. انا رجل مسكين ولا يحق لك ان تسومني هذا الظلم.

فاشتد ضغط اصابعي على الخاتم، ولبثت اسير متمهلا وانا غارق في جمودي. الظلم.. الظلم. ماذا يهم المجتمع ان زاد عدد الظالمين فرداً آخر؟! وماذا بوسع شخص ضعيف ان يساهم في مقاومة الظلم؟! وغمغم الرجل في لهجة يشوبها الغيظ: حتى م تبقى سائراً يا سيدي؟ أخشى ان يرتاب الناس في امرنا ونحن نمشي جنباً الى جنب.

فأجبت على الفور دون وعي مني: لا تخشَ شيئاً. سيحسبك الناس خادماً لي.

خادماً! عجباً..! كيف افلت هذا الجواب من بين شفتي؟! لم يخطر لي على بال يوماً ما ان استأجر خادماً. وواصل الرجل كلامه في احتجاج: كلا. لست احبذ هذه المغامرة. دعنا نقف امام واجهة هذا المتجر ونتظاهر بالتفرج على معروضاته لننهي الصفقة.

توقفنا امام واجهة متجر كبير لبيع الاسطوانات الموسيقية، وطرفت عيناي في معروضاته. على الجهة اليسرى من الواجهة علقت صورة زيتية كبيرة تمثل الموسيقار العظيم شوبان منحنياً على البيانو يعزف في قاعة غاصة بجمهور السامعين. وترامى الي صوت الرجل ذليلاً كأنه آت من بعيد: ارجوك يا سيدي اعد الي الخاتم ان لم تكن ترغب في شرائه. كيف تسوم مسكيناً مثلي هذا الظلم؟!

ورنت كلمة «الظلم» في اذني رنيناً صاخباً، وتعالى رنينها واستحال الى انغام ثائرة متمردة، وانبعثت الحياة في الصورة الزيتية فتمثل لي شوبان وهو يحرق روحه على معزفه دخاناً في عيون الظالمين هذا الرجل انتصر على الظلم! واشتد صخب الانغام وتعالى ضجيجها. حقير. حقير. حقير. والتفت الى الرجل وهتفت في انفعال: بكم تبيعه؟

فبادر يقول في لهجة المتسامح: ايناسبك ان تدفع دينارين؟ دينارين فقط؟!

فقلت بلهجة حاسمة: اسمع ايها الرجل، لن استطيع شراء الخاتم بما يزيد عن دينار واحد. فان لم يعجبك المبلغ فاني مستعد لرد الخاتم اليك.

فصمت الرجل لحظة ثم همهم بلهجة استسلام: قبلت والعوض على الله.

وفي حذر اللص حين يقدم على سرقة دسست الدينار في يده.

وابتعد عني بخطوات خفيفة سريعة. فراغ، لحظة من الفراغ ولا شيء غيره. لم اكن انظر الى شيء معين، ولم اكن افكر في شيء معين، ولم اكن ارغب في عمل شيء معين. فراغ هائل ابتلع وجودي! وجدت امام واجهة المتجر كجندي البوليس حين يؤدي واجب الحراسة. ثم حركت قدمي بعد دقائق لاسير.. الى اين؟! لست ادري بالضبط، كنت اريد ان اسير، ولكن قدمي لم تطاوعاني على السير. كأن اطناناً من الحديد شدت اليها أأنا خائف؟! خائف..؟! لماذا؟! لماذا؟! قبل دقائق فقط كانت الطمأنينة تتغلغل في حنايا نفسي.! افلم يكن الافضل لي ان اسأل الرجل مرافقتي حتى باب الدار؟! واتسعت خطواتي. خطوات واسعة غريبة لم يتصف بها سيري من قبل، ولكنها بطيئة. ليس في وسعي ان اسرع في سيري، لاول مرة في حياتي احس ان جسمي ثقيل الوزن، وان قدمي تنوءان تحت ثقله. ولكن الخاتم.. ماذا دهاه؟! كلما خطوت خطوة ثقل وزنه! وخيل الي انني احمل في جيبي صخرة كبيرة!

وبلغت ميداناً تتقاطع فيه الشوارع فاخترقته دون ان اتقيد بقواعد المرور، كانت هناك شارة حمراء تأمر العابرين بالتوقف ريثما ينقطع سيل السيارات ولكنني لم اعرها اهتماماً. ظللت اسير واسير. ثم توقفت، توقفت في وسط الميدان، اشارة بسيطة من شرطي المرور شلت قدمي. ومضى الشرطي يصليني بنظراته الحادة، ومضيت اتقهقر واتقهقر، كانت عيناه تضحكان في سخرية مرة وكان التهكم يتراقص على شفتيه. وتسللت يدي الى جيبي وراحت تضغط على الخاتم في عنف وتمنيت لو كان خاتماً سرياً ليتلاشى من بين اصابعي كالدخان، والشرطي يلاحقني بنظراته وقدماي تتراجعان. عجبت كيف تأخر هذه الساعات الطويلة عن القبض علي، كان يلوح عليه انه يتأهب لترك شارة المرور والتقدم نحوي. ولكن سيل السيارات لم ينقطع.. لم ينقطع ابداً، وفي غفلة منه تحولت الى شارع آخر. يا للسماء! كيف غفل عني، كيف؟! حاولت ان اعدو، ان انطلق، ان اهرول، ان اسرع على الاقل، ولكن قدمي ظلتا تتنقلان في تثاقل. ودار رأسي. رأسي، أركب على دولاب دائر؟! وطفقت اتلفت حولي في حركة هستيرية، قليل من الشجاعة يا رجل. ماذا جرى لك؟! ماذا جرى لي؟! بضعة سنوات في السجن بتهمة السرقة. وأمينة، كيف ستتلقى النبأ؟! اتزوجت سارقاً يا ربي؟! يا ويلي. كيف اشاركه حياة العار؟! هذه القرقعة الصاخبة. هذه الاقدام الثقيلة التي تضرب ورائي. لا بد انه شرطي المرور. قضي علي، انتهت حياتي!

وسبح جسدي بعرق بارد. والتفت ورائي بدون احساس، كان الشارع خالياً.. خالياً! كيف اتفق هذا؟! كيف اتفق ان يخلو الشارع من السابلة واسمع قرقعة حذاء ثقيل ورائي؟!.. خطوات وهمية. حالة هستيرية. انا خائف. لم يفكر اي شخص في مطاردتي، انه الخوف، الخوف وحده يطاردني. يا الهي، كيف اكذب اذني وازعم ان صوت تلك الاقدام وهمي؟! ايصح ان تكون تلك الاصوات وهمية وهي تملأ سمعي؟! انها لتشتد وتقوى انها تقترب مني، بل تدانيني، وبوسعي ان اميز فيها قرقعة حذاء شرطي المرور الضخم.

حاولت ان التفت ورائي فلم استطع، كان صوت الاقدام هذه المرة عالياً واضحاً لا سبيل الى الشك في صحته، والتهب جسدي،

واستحال قلبي الى « موتور » ضخم ، ورأيت الشرطي، رأيته بعينين نبتتا في الجانب الخلفي من رأسي ، رأيته يمد يده الضخمة ويربت على كتفي والابتسامة الساخرة تتلاعب على شفتيه . كان وجهه جامداً ، قاسياً ، فظيعاً ، اشبه بوجوه الابالسة منه بوجوه البشر . ايها الرجل ، لماذا تحطم حياتي ، لماذا ؟! لكأن قلبه آلة معدنية، ماكنة من حديد ! هذه الطائفة من البشر . . لا تعرف الرحمة طريقها الى قلوبهم ، انهم ينفذون القانون . . القانون . افيمكن ان اقنع القانون انني لم اسرق الخاتم ؟! كيف اقنعه ؟! انه كلمات على الورق يحيلها أناس اغبياء بعصيهم « القضائية » الى قيود واصفاد، كلمات خرساء لو كان بامكانها ان تنطق لوقفت مع الانسان وقدرت ظروفه . ولكن اولئك الاناس . . اولئك الاناس الاغبياء، حبسوا انفسهم وراء الجدران ووضعوا تلك الكلمات ، ثم قدموها الى المجتمع كي يصفد بها نفسه ، وزعموا له انها تنظم حياته !

وغمرتني موجة من اليأس اثارت فيّ جرأة اللامبالاة فحطمت مخاوفي والتفت . كان هناك رجل يسير على مقربة مني متمهلاً وعيناه مثبتتان في مجلة مصورة . . ولكنه لا يرتدي لباس البوليس ان شرطي المرور لا وجود له الا في دنيا الخوف التي تكتنفني . . ايها الغبي، الا تعرف حِيل البوليس وخدعهم ؟! هذا الرجل بوليس سري يتحين الفرص ليقبض عليك، لماذا يتبعك اذن ، لماذا ؟! غبي . غبي . يجب ان اخفي الدليل عنه . . يجب ، ولكن ، اين ؟! اين ؟!

وومضت في ذهني خاطرة . اجل . اجل . هناك موضع لن يهتدي اليه البوليس بيسر . وتحسست (ياقة) القميص، لكم خامرتني الثورة على هذا الثوب وسخطت من ضيق ياقته ، ربما تكرهون شيئاً وهو خير لكم . حقاً ، ربما تكرهون . . اكنت في حاجة ماسة الى شراء هذا الخاتم ؟! ورفعت يدي الى الياقة متظاهراً بزحزحتها الى الاعلى ودسست الخاتم بينها وبين عنقي . الآن فقط يحق لي ان اطمئن .

ودبت في جسدي قوة جديدة . انتصبت قامتي وقصرت خطواتي واتزن سيري ، واخرجت علبة سجائري ووضعت واحدة في فمي ، ثم خطر لي ان اتحدى رجل البوليس . واتجهت اليه بخطوات ثابتة . . يا للسحنة الكريهة ! ان طابع الخبث يغلف ملامحه ويفشي سر مهنته . وقلت في صوت غليظ : اتسمح باشعال السيجارة ايها . . السيد ؟

كان بودي ان القبه بالثعلب ، او الماكر، او الحقير . ولا ادري لماذا لم افعل . لعله ارتضى لنفسه مهنة التجسس قسراً، انه يريد ان يعيش . ولكن الحكومة . . كيف سمحت لنفسها ان تتخذ جواسيس من المجتمع على المجتمع ؟! اجاب رجل البوليس بلهجة مؤدبة : بكل سرور .

وعلى ضوء الثقاب لمحت في عينيه بريق الشر، واحسست برغبة جارفة في التعبير عن سخطي واحتقاري . خيل اليّ انني ارفع يدي وأهوي بها على وجهه ، ولكن يدي لم تتحرك . ورنا الي الرجل بدهشة واستغراب كمن يشهد حادثاً غريباً ، ثم تابع السير . ولبثت جامداً في موضعي احدق في الفراغ، لماذا تركني . . لماذا ؟!

وتحركت قدماي حينما اختفى الرجل، وانعطفت في شارع مزدحم بالسابلة . لم يكن هناك من يتبعني هذا الحين . وفجأة شعرت بألم في عنقي . تحسست موضع الالم فاصطدمت اصابعي بالخاتم الماسي، كانت الماسة مغروزة في اللحم والدم يسحّ من جرح بسيط . انتزعت الخاتم وتأملته لحظة . كانت الالماسة قد اصطبغت بالدم . . افكان حتما على الانسان ان يخلق لامثال هذه المعادن قيمة ؟! افكان حتما عليه ان يتسابق في احتكار اكبر عدد منها مضحياً في سبيل ذلك بارواح الملايين ؟! ونازعتني رغبة صارخة بتحطيم الخاتم . ووقفت متردداً بضع لحظات ، ثم حزمت رأيي، القيته على الارض ورفعت قدمي لاهوي بها عليه ، ثم . . التقطته ثانية ودسسته في جيبي . انني بشر . . بشر ، وقد تسممت بالطبيعة البشرية !

وسرت . . سرت ، ولكن لا كما يسير الآخرون . ان وجوه الناس تفيض بالغبطة وتطفح بالسرور . ان الابتسامة ترفرف باشراقتها الحلوة على وجوه الجميع ، انا وحدي العابس، ما اجمل ان يتحرر الانسان من الخوف ! وظللت اسير متنقلاً من شارع الى آخر دون ان اسلك طريق المنزل ، كانت هناك رغبة مبهمة جامحة لا قبل لي بقهرها تدفعني الى الامام . . والى الامام ، حتى وجدتني اخيراً امام مركز للبوليس ، قلت لضابط البوليس وانا اقدم له الخاتم : لقد ابتعت هذا الخاتم الماسي من لص اعترض سبيلي، وحاولت استدراجه الى مركز للبوليس ولكنه لاذ بالفرار .

تناول ضابط البوليس الخاتم في اهتمام ، والقى عليه نظرة سريعة، ثم رفع رأسه مغضباً وهتف في سخط : بكم اشتريته ؟!

فأجبت في اعتداد : كان اللص مستعداً لبيعه بأي ثمن، فدفعت له فيه ديناراً واحداً فقط .

فلوح بالخاتم مهتاجاً وصاح في حنق : هذه هي المرة الخامسة نلتقي فيها بضحايا ذلك المحتال ، لقد باعك ايها السيد خاتماً مزيفاً .

القاهرة — **شاكر خصباك**

تعريف بالادب الفرنسي المعاصر

كان العالم يتساءل في سنوات الحرب الأخيرة : اي كتب واي مؤلفين سيظهرون الى الوجود في فرنسا بعد تحريرها ؟ وهل ان هذه البلاد التي قاست اهوال الحرب ومرارة الاحتلال والتي يتحتم عليها بناء كل شيء من جديد مدنها واقتصادها وحكومتها ، لا تزال تعير الحياة الادبية نفس الاهتمام الذي كانت تعيره اياها في السابق ؟ واذا بالجواب يأتي حاسماً يبعث على الطمأنينة والحبور ، وبالستار يتزاح عن اسماء ووجوه جديدة لم تترك مجالا للشك بان الادب ما زال المعبر الاول عن روح هذه الامة. كان الورق يعوزهم ولكن ليست القريحة ولا القراء . واذا كان فاليري قد خلى مكانه فلا يزال هناك كلوديل وجيد وفارج يشتغلون ويؤلفون . وان كانت جماعة الكتاب ذوي الارادة الخيرة — ونستطيع ان نضم الى صف رومان وديهاميل ومورياك كتابا آخرين مثل لاكرتيل وهيريو وشاونبرجيه ومارتان دي جار — ان كان هؤلاء الكتاب قد شهدوا بيأس كبير سفينة اوربا وهي تغرق في احضان الموج فانهم لم يفقدوا الامل في اعادتها الى سطح الماء ولم يهنوا على الكد بشجاعة خارقة للوصول الى هذه الغاية.

وجاءت بعدهم فئة الادب الملتزم «littérature engagée» تلك الجماعة المتلألئة المتفرقة ، فاذا بسارتر يعلم بان الانسان يمكن ان يصنع مصيره بيده، وبمالرو يبين ان هذا المصير تراجيدي فاجع، وبأرجون يضيف بان هذا المصير محدد ومحتوم لكنه يجد عظمة الانسان في هذه الضرورة نفسها . كان هؤلاء الثلاثة يريدون من الفنان (او الناثر على الاقل) ان يسخر نفسه في خدمة الفعل . وكانت تتكاثر، وراء هذه الاشجار التي تؤلف غابة سامقة، شجيرات من القرائح الفنية هي اكثر عدداً من ان نستطيع حصر اولئك الذين سيكتب لهم البقاء والخلود منها ، واكثر تنوعاً من ان نتأكد — بالنظر لتعدد اتجاهاتهم واختلاف مشاربهم — من المستقبل الذي ستضمنه للادب الفرنسي والعالمي .

غير ان الشيء الذي كان يلفت النظر هو تأثير القصة الامريكية في اوربا مما يقدم لنا موضوعاً لدراسات طريفة. فهؤلاء الكتاب الذين صارت فرنسا تعجب بهم بعد الحرب الثانية : همنجواي وشتنبك ودوس باسوس وكالدويل وفولكنر هم انفسهم الذين اكتشفهم الامريكيون في فترة ما بين الحربين وهم اصحاب « مدرسة اليأس » الذين ولدتهم خيبة الامل في عام ١٩١٩ وازمة ١٩٢٩ . ولم يكن غريباً ان يجد الفرنسيون التعساء اخواناً لهم في هؤلاء الكتاب اليائسين، اذ كان الميل الى الاغتراب «Exotisme» طبيعياً بعد هذه السنين التي اغلقت فيها الحدود وفصل بين فرنسا وباقي العالم. فكانت هذه القصص الوحشية القوية تتلاءم تمام الملاءمة مع نفوس اضطرت الى ان تربي العنف والقسر في اعماقها لكي تناضل وتكافح في سبيل الحياة . فلم نر الا وقصص هؤلاء الكتاب تترجم بالجملة في سُعر شديد الى التوله والمخاطرة ، حتى كأنها مربوطة بسلسلة لا تنتهي ، لا فرق بين جيدها ورديئها . واذا ببعض هذه القصص يحرز نجاحاً أثار عجب مواطني مؤلفي هذه القصص انفسهم . فهم يقولون للفرنسيين : « لقد جئتم تستعيدون منا ما كنتم قد اعطيتمونا اياه سابقاً لان القصة الامريكية بين الحربين لم تستق عناصرها الا من قصاصكم «بروست» وكتابكم ذوي النزعة الطبيعية ».

ولكن أليس مثل هذا الوضع مألوفاً في الادب بصورة عامة؟ لقد كان بيرون يطلب من فولتير ما كان فولتير قد وجده عند سويفت وما سيجده موسيه بعد زمن غير طويل عند بيرون. فهذا كاتب انجليزي شاب يعتقد انه مدين لكتاب « البحث عن الوقت المفقود » بما كان بروست يقول انه قد تعلمه من روسكين وجورج إليوت وديكنز . وهذا كاتب فرنسي حديث يشيد بذكر دريسر او فاريل، قصاصي الطبقة البروليتيرية، لما كان هؤلاء مدينين به لزولا . غير ان الجيل الامريكي بعد الحرب العالمية الثانية سيكون كما يظهر متميزاً عن الذين سبقوه، فهو يبدو منذ الآن اقل عنفاً واكثر بناء . وهو يبتعد عن النزعتين الواقعية والطبيعية لكي يبعث من جديد وفي آن واحد الرمزية والقصة السيكولوجية فهو كما يستوحي هوثرن وملفيل وكافسكا، يستوحي هنري جيمس وبروست . ولن نجد بين القصاصين الفرنسيين المعاصرين من يقترب من الكتاب الامريكيين ذوي النزعة الرمزية الجديدة اكثر من البير كامو الذي يعرف كعظماء الانكلوسكسون اظهار الرمز في مصوغات مخرمة ، واضحة مع كونها لا مادية ، تبدو في نسيج كتبه الرائعة.

ترجمة: نهاد التكرلي
العراق - بعقوبة

قصة الشاعر التركي ناظم حكمت

بقلم خليل هنداوي

هذا الشاعر التركي سجين فكره وضحية شعره، يحلم – الآن – وراء قضبان قفص حديدي، ولا ندري: بماذا يحلم؟ وبماذا يفكر؟

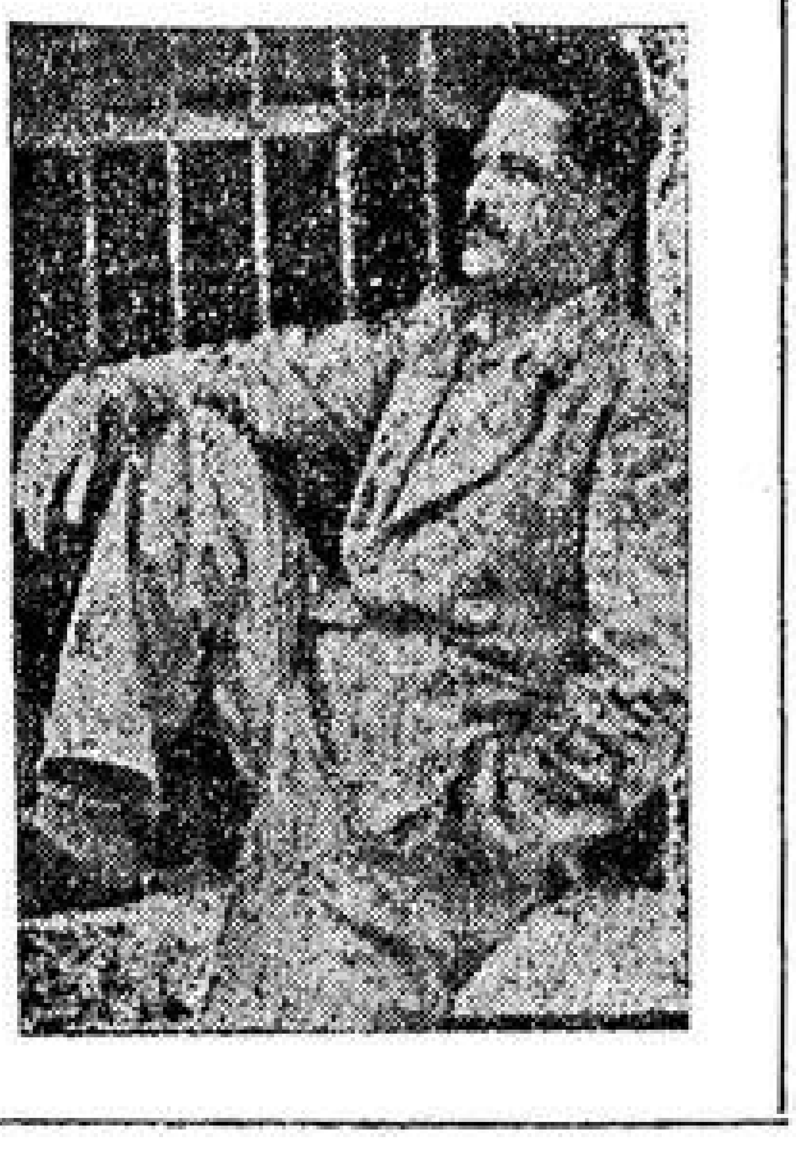
لعله يفكر في تلك الطبيعة التي احبها وتغنى بها، اوفي تلك الحرية التي كانت له مطلقة في العالم كله.. ثم اخذت تتقلص شيئاً فشيئاً حتى انقلبت حرية منكمشة وراء قضبان كحرية ذلك الطائر الذي يضرب قفصه بجناحيه او يحاول ان يخلق عالمه الكبير من هذا العالم الصغير.

انه يسرح البصر، ومن وراء البصر خيال محدود، لكنه خيال مردود لا يبعد عن الواقع كثيراً، لانه متعلق بالارض نفسها، والحياة نفسها، وشقاء امة نفسها فهو لا يحلم في الطبيعة، لان الطبيعة المجردة لا جمال لها عنده. ولا يفكر في حرية نفسه، لان النفس الواحدة لا حرية لها اذا كانت تعيش في امة مقيدة.

هذا هو – ناظم حكمت – الذي اعلن قبل حين اضرابه عن الطعام وتحديه للموت لسوء ما يلقاه في سجن يتمتع فيه الجانون بما لا يتمتع به الاحرار، وقد شاطره اضرابه هذا عشرات من رجال الفكر التركي والادب التركي، لانهم وجدوا في مثل هذا العمل اهانة للفكر نفسه لم يسبق لها مثيل في تاريخ الظلمات. ورأينا بعد ذلك ادباء غربيين يناصرون قضيته، ويؤيدون طلب الافراج عن الشاعر الحر المريض.

هذا هو – ناظم حكمت – الذي يردد بعد قضاء اثني عشر عاماً في السجن، وهو يفكر في مصير القرن العشرين:

« أتطلب الي ان انام، ثم
استيقظ بعد عصر كامل
لا.. لا. انني لست بهارب من الواجب
ان عصري الحاضر لا يخيفني ابداً
عصري هذا الذي يحمر خجلاً.
انني لا آسف على نشأتي في هذا الجيل.
بل تراني كثير الزهو والفخر بأنني
من – لدات القرن العشرين – ! »



الشاعر ناظم حكمت

فالشاعر – برغم ما يعانيه من الم وعذاب – لا يزال يؤمن بعصره، ويعتقده جديراً بالرسالة الانسانية التي حققها للفكر والحرية. ولكن ما همه ان يسيء اليه بعض الناس الذين يعيشون بفكر ضيق، وروح ضيقة كأنهم من بقايا كهوف التاريخ المظلمة.

ولد ناظم حكمت في مطلع القرن العشرين من اسرة نبيلة ترتبط بالطبقة الارستقراطية التركية، ودخل في الكلية البحرية ثم خرج منها سنة ١٩١٨ لينذر نفسه ونشاطه للشعر التركي الذي حاول تجديده بروحه، وحاول ان يجعل منه رسالة تحرر شعبه من البؤس والشقاء. وتابع دراساته في جامعة موسكو، فجمع بين الثقافة السلافية، والثقافة الفرنسية دون ان يتوانى في ثقافته التركية. بل نراه يرجع الى الاغاني التركية القديمة فيحاول تهذيبها وتنقيتها ومزجها بالشعر الحديث ليكون من ذلك ادب صادق في احساسه وشعوره يجمع بين القديم والحديث عاميه وفصيحه، وبالامكان ان يحتل منزلة الشاعر التركي الكبير « يحيي كمال » في تسامي روحه ورواج شعره.

ولكنه كان مولعاً بالحرية اكثر من ولعه باي شيء، الامر الذي اهاب بخصومه

ان يكيدوا له كيداً ، ومن العجب ان يعيش اعداء الحرية مطلقين ، واصدقاء الحرية مكبلين فقبض على « حزمة من قصائده الخطرة في ديوانه الموسوم » بالساعة الرابعة والعشرين » واحالوه على المحكمة بتهمة التآمر وبث الفوضى ، وروح التمرد في الفتيان . وكانت له محكمتان : عسكرية وبحرية ، وكلتا المحكمتين قضت بسجنه مدى اربعين عاماً .. اربعون عاماً فقط للفتى الذي عشق الحرية ، وطلب ان يمنح الناس نعمة الحرية .

والآن يمر عليه اكثر من اثني عشر عاماً مكبلاً بقيود سجنه . ولكنه لم ينقطع ابداً عن النظم والكتابة . وقد نظم في سجنه قطعة من رائع شعره في تمجيد الفيلسوف التركي « بدر الدين » من رجال القرن الخامس عشر . وقد تجدين الاثنين تقارباً في اعلانها الثورة على الظلم والسلاطين ، فكان مصير « بدر الدين السجن والشنق ، ونصيب « ناظم حكمت » ما يشبه السجن الابدي وما كان الشاعر ليتزعزع ايمانه بشعبه على رغم انقطاعه عنه ، وهو يجدد الشعر القصصي القديم في ملحمته الكبرى « اسطورة الاستقلال » واصفاً فيها دور الابطال الذين انقضوا على مضطهدي تركيا اثناء حوادث ١٩٢٠ — ١٩٢٢ . والقطعة التالية تمثل هذا النفس العالي في تمثيل شعور امة وهي قطعة تصور الدور البطولي للنساء التركيات اللواتي يحملن السلاح لابطالهن طاويات صحاري الاناضول غير شاكيات .

هذا هو — ناظم حكمت — الذي لا يزال ينتظر من بقية حكمه ربع قرن تقريباً في مدارج السجون ومن يدرينا لعل نفحة الحرية لن تهب عليه الا من مدارج القبر ، وها هي ذي الانباء تتوالى منذرة بسوء صحة الشاعر الكبير وانقطاعه عن الطعام ، ولعله يجد في حكومة الشعب الجديدة من يستمع الى هذه الروح التي لم يعرف الادب التركي اصفى منها نفساً واصدق احساساً ، فتعمل على التكفير عما قدمته الحكومة السابقة وما كانت حرية التفكير بجريمة من الجرائم في عصر يقال فيه « ان الانسان حر ، وان الفكر حر » وقد علمنا التاريخ ان الحرية كالعاصفة تكمن حيناً ، ولكن الويل كل الويل لمن يريد ان يقف انطلاقها حين تثور ، وعلمنا التاريخ ان الارض كلها لا تتسع للفكر حينما يترامى . وأنى للمحدود ان يتسع للعقل غير المحدود ولكن ما اجدر بالشفقة امة لا تزال تهب اطيب نسماتها الفكرية والشعرية من اعماق سجونها المظلمة .

نسوة الاناضول

●

وكانت العربات تتدحرج تحت ضوء القمر
تريد « افيون » وتقصد « اكشاير »
الارض تحت عجلاتها لا تنتهي .
والجبال بعيدة .. بعيدة عنها
حتى كاد الذين يقصدونها لن يبلغوها ابداً .

وكانت العربات تتهادى بدواليبها الخشبية
الدواليب تدور تحت ضوء القمر .
والثيران التي تجرها كأنها
هابطة من غير كوكب
صغيرة صغيرة ، وقصيرة قصيرة .
قرونها المهشمة المريضة تلتمع في الليل .
ولكن الذي ينطوي تحت اظلافها ، الارض ،
والارض دائماً .

في الليل الحار اللامع
الواح العربات
كانت الاسلحة المحمولة تسطع
والنساء كن يتأملن صامتات تحت ضوء القمر
في بقايا قوافل محطمة منثورة
واشلاء ممزقة من ثيران نافقة ودواليب مبتورة

هؤلاء النساء ..
نساؤنا
ذوات الايدي المرعبة اللطيفة
ذوات الوجوه الوادعة ، والعيون الواسعة
من ام ، او زوجة ، او حبيبة لنا ،
او امرأة تموت كأنها لم تعش ابداً ،
ومن أهملنا موضعها في مجتمعنا ،
ومن نذهب بها الى الجبال
ومن اجلها ندخل السجون .
نساؤنا .. من نقودهن الى حصيد الحقول ،
الى غرس السهول .

الى المزارع ، . الى المصانع .
كأنهن مُدى مغروسة في احشاء الارض .
مع اوراكهن العريضة القوية
مع اجراسهن وخلاخيلهن
هؤلاء النساء .. نساؤنا ..

حلب — خليل هنداوي

عينان

بعينيك أحلامي ، وعرسُ شبيبتي — وفي شفتيك السحر ، انهله نهلا

نسيتُ بك الدنيا ، ولم تكُ حلوة — اذا أنا لم ألمح بمقلتك الكحلا

هبيني َ طيفاً ، في جفونك عـابراً — أيحرمُ هذا القلب ، ان يجد الظلّا ؟

ومثـلي َ يهوى كلَّ عينٍ جميلة — فمالك تأبين السماحة والبـذلا ؟

حببتك حب الطير ، جفت لهاته ، — حنيناً ، وقلب الطير لا يعرف الختلا

وهمت هيـام الورد شيعه الندى — وكانت دموع الفجر ، تغمره طلا

أأظمأ ، والنبع الشهي مموّجٌ ؟ — واقنع بالاوهام ، احسبها وصلا ؟

وما كنت قبل اليوم ، اشكو صبابة — ولكن حب الغيد ، علمني الخبلا

***

ويا ثغرها الوردي ، في غمرة الهوى ، — لقد أنكرت عيناي ، من بعدك الفلا

أأسألك النجوى ، وأنت مسوّف ؟ — ولم أكُ قبل الحب ، استعذب السؤلا

ويلؤك الدلُّ المـذيب ، وإنـه — ليقتلني ، ان تألف الشفة الدلا

وكيف سلوّ القلب ، والليل وحده — رآني أعل الخمر ، من ريقه علا ؟

وبي منـك اشواق ، وحلم مجنح — اداريه مفتونـاً ، فيوسعني عذلا

وقال ليَ الخدن الخلي من الهوى ، — افق من جنون الحب ، واستغفر العقلا

ودع عنك هذا الحبّ ، فالحب آفة — ولا تغضب الاتراب ، والله ، والاهلا

فقلت له ، حسبي من الوجد انني — رضيت بعينيها ، فلم اسمع القولا

نعمت بها حيناً ، وكانت هناءة ، — فما اعذب الذكرى لديَّ ، وما احلى !

السلمية ـ سوريا — انور الجندي

البطل

تمثيلية ذات فصلين

بقلم اديب مروة

الفصل الاول

المنظر: رصيف امام باب فندق « البانتيون » في باريس ، والمارة بين غاد ورائح ، يخرج المؤلف القصصي الاستاذ الفرتكلي من باب الفندق ، ويبعثر نظراته الحائرة بين الوجوه ، الى ان يصطدم بصره بفتاة جميلة ، فيتقدم منها ويستوقفها.

الفرتكلي: من فضلك يا آنسة ؟

الفتاة: نعم .. ماذا يبغي السيد ؟

الفرتكلي: ارجو ان تسمحي لي بلحظة قصيرة من وقتك .

الفتاة: قل .. ماذا تريد ؟ ليس لدي الوقت الكافي .. اني متعجلة !

الفرتكلي — البطل ! .. البطل يا آنسة ؟

الفتاة (بدهشة) : البطل ؟ . اي بطل ؟

الفرتكلي: اني ابحث عن ..

الفتاة: يبدو من لهجتك انك غريب .. فاذا كنت تبحث عن شارع البطل ، فافيدك اني لست من اهل هذا الحي.

الفرتكلي: عفواً .. ليس هذا غرضي .. انما اتحدث عن بطل .. عن انسان من لحم ودم ..

الفتاة: وما شأني انا بهذا الامر ؟

الفرتكلي: انت وحدك صاحبة الشأن .. الم تسمعي بالابطال؟

الفتاة: اجل .. ولكن الابطال كثيرون . فهناك ابطال الحرب، وابطال الرياضة، وابطال السينما .. وابطال السياسة .. والتاريخ مليء بالابطال من كل نوع .. ومهما يكن .. فليس ثمة واحد بينهم من يهمني الآن !

الفرتكلي: بيد ان البطل الذي انا بصدده هو من نوع آخر .. انه جديد بكل معنى الكلمة .

الفتاة (يبدو عليها الضيق) : الخلاصة .. قل ماذا تريد مني ؟

الفرتكلي: انت الوحيدة التي تنقذين هذا البطل، وتنقذينني منه .

● اخانا الكريم الاستاذ البير ●

هي فكرة واحدة طرأت على ذهنينا وكنا معاً ، فتبناها كل منا حسب طريقته واسلوبه ، فاذا بهذه الفكرة تخرج على يد احدنا قصة تمثيلية مستقلة ، واذا بها تدخل على يد الآخر ، كفصل غير مستقر ضمن قصته الطويلة التي يعدها للنشر قريباً بعنوان « بطاقة في البريد » . ويسرنا ان نقدم معاً نتاج كل منا حول هذه الفكرة الواحدة الى مجلة « الاديب » المجلة التي رعتنا ، والتي اصبح لها علينا حق المدرسة الام على تلاميذها ، وفضل شق طريقنا في الميدان الادبي .. عسى ان يجد القراء في هذا اللون الجديد من ادب القصة ، مجالاً للمقارنة والتعليق ...

واخيراً ثق يا استاذنا الكبير ان ما نقوم به من واجبات تجاه « معلمتنا » الاديب ، لا يمكن ان يفي بما لكم علينا من حق وفضل ، واقبلوا اخلاصنا وودنا وتقديرنا العميم . قلبانا معكم .

باريس — اديب مروة — احمد عويدات

الفتاة : هذا في منتهى الغرابة .. ولماذا انا بالذات ؟ (متبرمة) حتى الآن لم افهم شيئاً مما تعني .. الا تريد ان تسمح لي بمتابعة طريقي ؟

الفرتكلي : هذا مستحيل الآن . لا سيما وان هناك شخصاً اعني البطل ... اصبح مصيره معلقاً بين يديك .

الفتاة : كنت اقول عنك انك من الفنانين ، لولا ان مظاهرهم المعتادة لا تبدو عليك ، فشعرك غير مبعثر في الهواء ، وياقتك نظيفة ، وحتى حديثك فيه شيء من الحياء .

الفرتكلي : اشكر لك كثيراً حسن ظنك بي ، وانت في منتهى اللطف والجمال .

الفتاة (تتكلف ابتسامة ساخرة) : اورفوار ، ليس لدي وقت للغزل في الطريق .

الفرتكلي : بالله عليك يا آنسة .. ففي لحظة قصيرة . فهناك شخص يعذبني ويظلمني ، وارجوك ان تسمعي قصته .

الفتاة : ولكن قل ماذا تبغي بوضوح وبسرعة ؟

الفرتكلي : انه ينكد علي عيشي ، ولا يدعني انام او آكل براحة .. انه يسومني الشقاء المرير ، ويحملني على التفكير به ليل نهار ، ولا حيلة لي بأمره ، لقد شغلني عن كل شيء .

الفتاة (ساهمة) : عمن تتكلم ؟

الفرتكلي : لقد قلت لك عن البطل .

الفتاة : آه .. وهل يضربك ؟

الفرتكلي : يا ليت ، انه اقسى من ذلك بكثير .

الفتاة : ولماذا لا تشكوه الى الشرطة ؟

الفرتكلي : الشكوى لله .

الفتاة : مسكين .. وهل يقطن معك ؟

الفرتكلي : اجل ، وفي غرفة واحدة ، وهي هناك في الطابق السادس ، ونافذتها تلك التي في اقصى الشمال .

الفتاة : وصاحبك البطل هو فيها الآن ؟

الفرتكلي : انه لا يبارحها مطلقاً .

الفتاة : لا شك انه قوي العضلات .. ومخيف ؟

الفرتكلي : كلا . ابداً . انه في منتهى النحافة ، ورقة الظل !

الفتاة : هذا غريب .. هل لك ان تصفه لي ؟ .. وماذا يعمل ؟

الفرتكلي : انه فتى من الشرق ، قذف به القدر الى الغرب بعد ان سئم العيش في صحراء الحرمان ، والحيرة ، والقلق ، فجاء يجرب حظه هنا في بحر الحرية ، والحب ، والامل ، فاذا بهذا القدر يسخر منه من جديد ، ويفرض عليه مشيئة لم يكن له رأي بها ، لقد كان معه ، وما زال ، في صراع مستميت . ان بطلي الآن ينسج خيوطاً لمعركة جديدة يتمنى ان يتغلب عليه فيها .

الفتاة : بطل .. قدر .. معركة جديدة ؟ ؟ . حقاً اني عاجزة الفهم .

الفرتكلي : ونسيت ان أقول لك ان صنعته دهان ...

الفتاة : بطل ودهان ؟ .. هذا عجيب ... وكيف يكون البطل دهاناً ؟

الفرتكلي : ولماذا لا ؟ ... فهو انسان وذو مهنة ككل الناس ... فمثلاً ماذا تعملين انت في الحياة ؟

الفتاة : وهل يهمك معرفة ذلك ؟ ... على كل حال انا طالبة .

الفرتكلي : أرجو المعذرة عن فضولي ... انت طالبة في اي قسم ؟

الفتاة : في قسم الطب البيطري ...

الفرتكلي : هذا حسن جداً ... تشرفنا يا آنسة ...

الفتاة : ولماذا تستحسن ذلك ؟ ... أيهمك الطب البيطري ؟

الفرتكلي : معاذ الله ... بل ان ذلك قد يهم بطلي ! ...

الفتاة : حقاً ان بطلك هذا غريب الاطوار ... اني لم اسمع بعد ببطل يعمل دهاناً .

الفرتكلي : انسيت المرحوم هتلر ؟ ... لقد بدأ حياته دهاناً .

الفتاة : اني اكره النازية ... واكره السياسة ... ولذلك ارجوك ان تقلع عن الحديث عن هتلر ، فهو يذكرني بويلات الحرب .

الفرتكلي : ارجو المعذرة مرة اخرى ... لم اكن اعرف انك مرهفة الاحساس الى هذا الحد ..

الفتاة (متململة) : اكمل قصة بطلك هذا ... لقد قلت لي انه يظلمك ليل نهار .. وانه دهان ، وهو يهتم بالطب البيطري .

الفرتكلي : تماماً .. ولكن اعني انه يهتم بالطب البيطري لا من اجل الطب البيطري نفسه ... بل من اجلك انت .

الفتاة : اعتقد انك عدت الى المغازلة من جديد ، فاسمح لي ان امضي (تنظر الساعة معصمها) .

الفرتكلي : اني لا اغازل وشرفي ، اني اتكلم بصورة جدية .

الفتاة : وكيف تقول انه يهتم بي انا بالذات ، وهو لا يعرفني ولم يرني بعد ؟

الفرتكلي : اني استطيع التعبير عن رغباته وميوله ، ولذلك فهو الذي كلفني ان ابحث له عن ... عنك .

الفتاة : عني انا ؟

الفرتكلي : اجل عنك انت ، الا تؤمنين بما هو مكتوب ؟ . لقد كان مقدراً لك ان تكوني انت وحدك الفتاة التي يبحث عنها بطلي .

الفتاة : افرض اني لم امر هذه الساعة امامك من هنا، ولم تربي . ولقد كان من الممكن ان تمر فتاة اخرى غيري، فتقول لها الكلام نفسه .

الفرتكلي : هذا مستحيل ، ليس هناك من افتراض ، فهذا من نصيبك انت ، وقد اصبح من حقك وحدك ، وليس من المعقول ان يكون من نصيب غيرك ، ما دمت لم اصادف احداً قبلك مر من هنا .

الفتاة : ولكن ، لم تخبرني لماذا كلفك بطلك هذا ان تبحث له عني .

الفرتكلي : لتكوني ، له بطلة .

الفتاة : اوه ، الآن فهمت ، يبدو انك مخرج روائي ، وانت تفتش عن ممثلة تقوم بدور البطلة ، ولكنني آسفة جداً ، فانا لم يسبق لي في حياتي كلها ان مثلت دوراً ما على المسرح ، وفضلاً عن ذلك فليس لديّ وقت لهذه الشؤون ، ولا رغبة لي بها .

الفرتكلي : لا ، لا ، ليس في الامر تمثيل واخراج ، وانت متى عرفت هذا البطل ستتفاهمين معه بسرعة ، ويخبرك عن غايته بوضوح

الفتاة : وكيف تعرفت انت بهذا البطل ؟

الفرتكلي : كما تعرفت بك الآن .

الفتاة : اذن لقد استوقفته على قارعة الطريق ، امام فندقك هنا ؟

الفرتكلي : كلا ، بل هو الذي هبط علي من السماء فجأة ، فاذا بنا وكأننا صديقان قديمان .

الفتاة : مدهش ، ولكن ماذا علي ان افعل لهذا البطل ؟

الفرتكلي : هذا امر متروك لذكائك الخاص ، فلقد ذكرت لك ان بطلنا — وقد اصبح الآن قاسماً مشتركاً بيننا — هو ضحية من ضحايا القدر ، دفعه هذا الى حيث شاء ، اما الآن فهو يريد ان يدفع نفسه الى حيث يشاء هو ، فوقع اختياره عليك ، اما ما قد يحدث بينكما فيما بعد ، فقد يقع حب ، وقد يقع زواج ، وقد تحدث مشاجرة ، وقد لا يقع شيء من هذا ، على كل حال لا بد من ان تحدث لكما مشكلة افضها بالحسنى .

الفتاة : يا لك من ثرثار بارع ، انت اذن تريد ان تضيع وقتك ووقتي بالتفتيش عن المشاكل ، بل انت تريد خلق المشاكل .

الفرتكلي : المشاكل موجودة بكثرة بين الناس ، وهي لا تحتاج الى خلق ، بل الى من يعرضها ويحلها ، وهذه هي مهمتي ، وقد استوقفتك طالباً اليك ان تساعديني على حل احدى هذه المشاكل .

الفتاة : وما هي المشكلة المطلوب حلها الآن ؟

الفرتكلي : المشكلة هي مشكلة بطل ، وما انا الا وسيط خير فحسب .

الفتاة : اذن دع بطلك يأتي الي ليشرح لي مشكلته بنفسه .

الفرتكلي : تفضلي معي الى الغرفة لتراه .

الفتاة (تنظر الى ساعتها) : لا ، فلينزل هو الى هنا ، ناده من تحت النافذة ؟

الفرتكلي : هذا مستحيل ، انه معتصم بالغرفة ، لا يخرج منها مطلقاً .

الفتاة : حقاً انك تثير فضولي بحديثك عن هذا الرجل . سأصعد معك لاراه على شرط الا أمكث معكما اكثر من خمس دقائق

الفرتكلي : اياك وان تخشينه ؟

الفتاة : لا تنس اني طالبة في الطب البيطري . (يدخلان باب الفندق) .

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر : غرفة عادية في الفندق، وقد انتشرت فيها الصحف بغير نظام، ورصفت بعض الكتب على رف مستطيل بأناقة ، وعلى طاولة في وسطها قامت تلال من الاوراق والكتب والمسودات ، والى جانب ذلك سرير هو اقرب الى « الديوان » منه الى السرير ، وبعض الكراسي . يدخل الفرتكلي اولاً من باب في الصدر ، وتتبعه الفتاة .

الفرتكلي : اهلاً وسهلاً . ان تشريفك فرصة سعيدة جداً

الفتـــاة (تجول بانظارها في ارجاء الغرفة) : ولكـــن .. اين صاحبك البطل ؟

الفرتـكلي : تفضلي اجلسي اولا ، اترغبين في فنجان قهوة تركية، ام كأس « أبرتيف » ؟

الفتاة : قهوة .

الفرتـكلي : اسمحي لي ان اقدم لك نفسي : الفرتـكلي ،مؤلف عدة مجموعات قصصية ، وطالب ادب وفلسفة وصحافة ، الآن ، وحقوق سابقاً ، ومراسل عدة جرائد . و . . .

الفتاة : تشرفنا .

الفرتـكلي : تشرفنا ؟ . هكذا فقط ؟

الفتاة : وماذا تريد ان اقول لك ؟

الفرتـكلي : أسأليني مثلاً عن مجموعاتي القصصية ، اسأليني من اين انا ؟ . عن أسرة الفرتـكـلي ، اسأليني عن الادب ، عن الصحافة ، الا تقرأين الصحف ؟

الفتاة : كل ذلك لا يهمني .

الفرتـكلي : انت مدهشة ، غريبة الاطوار ، كبطلي .

الفتاة : واين حضرة البطل هذا ؟

الفرتـكلي : أأنت مصرة على رؤيته ؟

الفتاة : طبعاً ، ومن اجل ذلك دعوتني كما اعتقد للمجيء معك الى هنا .

الفرتـكلي : حقاً ، هذا صحيح ، والبطل هو الآن ،معنا .

الفتاة (تعود الى البحث بانظارها في انحاء الغرفة) : معنـا ؟ . أنت تهذي ؟ . هل هو مختبىء الآن في الغرفة ؟

الفرتـكلي : كلا ، اقصد انه غائب حـاضر ، لقد خرج قليلاً وسيعود سريعاً .

الفتاة : البطل هو الآن غائب حاضر ؟ .

الفرتـكلي : اجل ، واعني اني أنا .

الفتاة : أنت ماذا ؟

الفرتـكلي : اني انا استطيع ان اقوم مقامه .

الفتاة : يبدو ان قصة بطلك هذه ليست الا حيلة استدرجتني بها الى غرفتك .. (تنهض) فاسمح لي ان اخرج ، لاني لست من نوع الفتيات الذي تظن .

الفرتـكلي : يا آنسة ، ارجوك ، اني رجـل شريف ، وقد كنت رجل دين في ماضيّ ، كوني مطمئنة

الفتاة : لا . . لا . . هذا على العكس يجعلني ازداد خشية منك .

الفرتـكلي : احلف لك لكي تصدقيني ، اني لست من اصحاب الحيل ، لقد قلت لك اني استطيع ان اقوم مقامه ، حتى يعود ، لاننا انا وبطلي اصبحنا ممتازجين في العقلية والتفكير ، حتى بتنا وكأننا شخص واحد .

الفتاة (تجلس) : لقد ذكرت لي انه يعذبك ويظلمـك ، فكيف ذلك ؟

الفرتـكلي : انه يعذبني فكرياً ، ويقلق راحتي في كثير من الاحيان بطلباته غير المعقولة .

الفتاة : غير المعقولة ؟

الفرتـكلي : اجل ، فمثلاً لقد دعاني لكي ابحث له عنك !! ومع ذلك فغير المعقول صار معقولاً .

الفتاة : حقاً انني في حيرة من أمر بطلك هذا ، فتارة تقول انه موجود في غرفتك دائماً ، ولا يغادرها مطلقاً ، وطوراً تقول انه خرج وهو غائب حاضر ، فما هذا التناقض في اقوالك ؟ . . واذا بي لا اجد له اثراً هنا على الاطلاق ، (بحدة) لقد كنت مغفلة اذ سمحت لنفسي بان اصعد معك الى هنا .

الفرتـكلي : هدئي من روعك يا آنسة ، اريد ان اوضح لك المسألة .

الفتاة : وهذا ما انا بانتظاره منذ وقت طويل ، وقد نفد صبري .

الفرتـكلي : لقد ذكرت لك اني مؤلف قصصي .

الفتاة : وماذا في ذلك ؟

الفرتـكلي : والمؤلف القصصي يا آنسة يخلق الابطال لرواياته وقصصه بنفسه ، او بعبارة اصح انه يختار ابطال قصصه نماذج من المجتمع ، ولقد بدأت منذ ايام بوضع الخطوط العامة لقصة جديدة ، فاخترت البطل ورسمت شخصيته ، وهو الشخص الذي حدثتك عن صفاته وعقليته ، وصراعه مع القدر ، ثم كان ان حدثت لي مشكلة اختيار البطلة فوقعت في حيرة ، لان بطلي — كما وصفته لك — يجب ان يختار هو بطلته بمحض المصادفة ، ولم يكن ذلك ممكناً الا ان ابحث له عنها بنفسي ، فاذا بالظروف تسوقك انت .

الفتاة (بدهشة وخيبة امل) هـذا في منتهى الغرابة ، فاذن انا الآن امام شخص وهمي ؟

الفرتـكلي : اني لست شخصاً وهمياً يا آنسة .

الفتاة : اعني ان البطل هو شخص وهمي ، ولكن لماذا لم تشأ ان توجد البطلة كما اوجدت البطل ؟

(يقرع الباب في هذه الاثناء)

الفتاة (بلهفة) : لعل القادم هو البطل ؟

الفرتكلي : اي بطل ؟ . . ان البطل هنا ، فوق هذه الطاولة ، وضمن هذه الاوراق !.

(ينهض ليفتح الباب ، فاذا به يجد صديقه ربيح المعلوجي الذي يدخل مسلماً ، وهو شاب اسمر ، منتفش الشعر ، يرتدي قيصاً رياضياً) .

الفرتكلي : اهلاً ، بربيح (الى الفتاة) اقدم لك صديقي مسيو معلوجي .

الفتاة (تمد له يدها) : تشرفنا .

الفرتكلي : وصديقي ايضاً هو بطل .

المعلوجي (يمد ذراعه في الهواء ويشد عضلاته) معلوم ، بطل ونصف عند الحاجة !

الفتاة : لقد كنا نبحث عن البطل !

المعلوجي : اذن لقد وصلت في الوقت المناسب .

الفرتكلي (متململاً) : طبعاً . . طبعاً . . ولكن بطلنا لم يخرج بعد الى عالم الوجود !

المعلوجي : تقصد انه ما زال جنيناً .

الفرتكلي : تقريباً .

المعلوجي : خير له ان يبقى اذن في بطن امه !.

الفتاة : وما قيمة الوجود لمن لم يوجد بعد ؟

الفرتكلي : انا احتج ، ان بطلي هو شخص عادي يعيش في كل المجتمعات ، وهو وان لم يخرج هذه الساعة الى عالم الوجود ، فهو موجود بيننا في كل آن .

المعلوجي (الى الفتاة) : اود ان اعرف رأيك في بطلي هذا ؟

الفتاة (تنظر الى المعلوجي) : لا بأس به .

الفرتكلي : ان بطلي ، من حيث نفسيته ، هو صورة عني ، الا تعلمين ان معظم المؤلفين انما يصورون انفسهم من خلال شخصيات ابطالهم ؟

الفتاة : انك تعني بذلك ان البطل الذي حدثتني عنه هو انت ؟

الفرتكلي : يا لك من ذكية ! .

الفتاة (بسخرية) : انت بطل ؟ . البطل هو . . انت ؟ ! هاهاها . . هاه !

المعلوجي : ان صديقي هو خالق ابطال ، وما قيمة المخلوق بالنسبة الى الخالق !

الفرتكلي : بالواقع اني اعيش حياة ابطالي ، او بالاحرى ان ابطالي يعيشون حياتي .

الفتاة : ربما بالخيال .

الفرتكلي : كلا . . بل بالحقيقة . . الم تري اني بحثت عنك لتكوني بطلة ؟ . . وانت كما اعتقد لست شخصاً وهمياً .

الفتاة : ولكن بطلك هو الوهمي .

المعلوجي : اما انا ، فاني بطل بروح وجسد ، (الى الفرنكلي) على فكرة ، لماذا لا تختارني بطلاً لاحدى قصصك ؟

الفرتكلي : قد يأتي ذلك عما قريب !

المعلوجي (يخرج من جيبه علبة تبغ ويقدم منها للفتاة) : الآنسة تدخن ؟

الفتاة بكل سرور ، (تتناول لفافة) شكراً .

المعلوجي (للفرنكلي) : اين قهوتك يا اخي ؟

الفرتكلي : أوه . لقد نسيت . . ارجو المعذرة يا آنسة (ينهض ليعد القهوة ، بينما يقرب المعلوجي مقعده من مقعد الفتاة) .

المعلوجي (الى الفتاة) : انت تعرفين صديقي منذ زمن طويل ؟

الفرتكلي : لا حول ولا قوة الا بالله .

الفتاة : منذ ربع ساعة فقط .

المعلوجي : هل بلغك ان اوركسترا «سام روبصن» هي التي ستعزف هذا المساء في حفلة « المدينة الجامعية » الراقصة ؟

الفتاة : بدون مزاح ؟ آه . . كم احب اوركسترا سام روبصن !

المعلوجي : اذن اني ادعوك لنرقص معاً هذه الليلة .

الفتاة : اتفقنا .

المعلوجي : وسأنتظرك في الساعة العاشرة امام محطة اللكسمبورغ .

الفتاة : اكيداً ، (تلتفت الى ساعتها) اوه ، لقد تأخرت كثيراً هنا ، يجب ان اعود الى منزلي .

المعلوجي : اذن لا داعي لانتظار القهوة ، اني مستعد لاصطحابك ، هيا بنا .

(يتهيآن للخروج)

الاثنان (الى الفرنكلي) أورفوار ايها المؤلف . . سلم لنا على البطل !. . (يخرجان) .

الفرتكلي (يجلس وحيداً امام طاولته . وقد اخذ يستعد للكتابة وهو خائر الاعصاب) : الا تباً لك ايها القدر ، لقد عدت فانتصرت علي في هذه الجولة ، ولكن هذا حسن جداً . لقد كنتُ بطل فأصبحت ببطلين .

باريس — اديب مروة

البطل

فصل من قصة طويلة بعنوان : بطاقة في البريد

بقلم احمد عويدات

●

هل رأيت انساناً وهو ينطلق في المحطات الكبرى للحاق بالقطار الذي اخذ يتحرك ؟ هل رأيت انساناً يسكن في الطابق السادس فعلم فجأة ان قنبلة في طابقه الارضي سوف تنفجر بعد دقيقتين؟ اما عايشتك فكرة فسدت عليك المنافذ ولم تستطع الخلاص منها فاذا نظرت الى الحياة : حيوانها وجمادها ارضها وسمائها فمن وراء هذه الفكرة التي تتصل بالحيوان والجماد والارض والسماء ؟ اما حدث ان انكرت على نفسك في اويقات من الحياة اليومية تصرفات تقرب من البلاهة والسخف وتمتد الى العبقرية والنبوغ ومع ذلك فقد قمت بها وليس ذهاباً مع التفكير والمنطق لانه لم تلابسك ذرة منها بل اندفاعاً وراء رغبة مبهمة جامحة ؟

اذا لم يحدث معك شيء من هذا فلن تدرك من هذه الصفحات شيئاً لان صاحبنا قد حدث معه الكثير من هذا ، ولو رأيته عصر ذلك اليوم من « فبراير » لرأيت عجباً ، ولو كان يعرف ان احداً يتتبعه لما اقدم على شيء ، ولربما كان لهذا الجو المنفتح الذي يعيشه ومحياه تأثير على هذه الحياة التي لا تخضع لمظاهر اجتماعية تجبر الناس على الاخذ بها . فهذه الحرية او بكلمة اصح هذا الاستقلال الفردي الذي يتمتع به كل مخلوق خليق ان يدفع بصاحبه الى تصرفات تستوحى من دوافع خفية راسبة في اعماقه . وان هذا الفتى الذي نظف اسنانه بمعجون الذقن وما افاق الا بعد لأي . غير غريب عليه اذا رأيناه عصر ذلك الاحد يهبط سلمه كالتائه . يغفل نفسه ويغفله الناس ويترك غرفته مغلقة او شبه مغلقة ، لا يذكر اوضع مفتاحها في جيبه ام وضعه في مكانه بين صناديق الفندق لانه لم يكن آنذاك الانسان العادي . فهو ما سمع خطواته على الدرج وما ذكر من رأى في طريقه . . وما وعى نفسه الا وهو يخرج من الباب الكبير ويسير على الرصيف . شعره واقف في الفضاء وعيناه زائغتان لا تنعكسان الا على عالم هو يراه وحده ولا يشرك احداً به .

الى اين ينطلق ؟ وماذا كان يعمل في غرفته ؟ ولمَ تركها ؟ وبمَ كان يتمتم وهو هائم سادر ؟ اتحرك القطار فخاف ان يفوته ! ارغب في النجاة فطلق هذا الفندق قبل ان تنفجر القنبلة ! احاول ان يهرب من هذه الفكرة التي كانت مسيطرة عليه في غرفته ! ألهذه الدرجة يجد عبئاً ثقيلاً حين يحمل القلم بين اصابعه ويجمع الفاظاً فوق السطور ؟ أليست الكتابة صناعة ! ففيم اذن العناء . وهذه قد وقف عليها كثير من الجامعين لهذه التعابير ولهذه المترادفات وليس له الا ان ينقلها الى عمله !

من المعلوم انه كان في غرفته يكتب ، ومن المؤكد ان يديه وشفتيه كانت كلها تشارك تفكيره . بمَ كان يفكر ؟ وان انفاسه تلتهب في هذه الوحدة الخانقة ، وان منظره ليدعو الى الشفقة واليأس . فها هو يجمع من رواسب نفسه شخصاً آخر غير تلك التي كادت تحطم ضاوعه في حادث اللوفر . ولكن يا للسخرية من ذاك الذي صنعه . لقد خيل اليه انه جمع له كل ما تصبو اليه النفس من عينين وجبهة وصدر واطراف آية في الفن والابداع ! ولكنه ما عتم ان رأى ان ذلك التمثال جامد لا يتحرك ولا ينطق

فهو تمثال من شمع او من خزف فراح يناجيه ! وكيف ينطق من جسمه من شمع وتتاطيعه من خزف ؟

ولم يأسف حين هوى بالهراوة على رأس هذا التمثال فشوهه وانطلق خارج غرفته يفتش لهذا « الشخص » ، الذي رسم هيكله بخطوط دقيقة والوان حية عن نصف آخر يقف منه موقف الند يحركه ويدفعه ويستجيب له .

وان من يقوم بمهمة كهذه ينسى يومه ولا يرى الدنيا الا من وراء فضاء هذا المطلب والوصول اليه . وعادت من جديد تدوي في اذنه عبارات مبهمة . . هذا المعبود الذي لا يجامل ولا يسلك طرقاً ملتوية الى حاجته والى غرضه . وما هي الا هنيهة مضت كان صاحبنا خلالها ينقل خطواته ذات اليمين وذات اليسار حتى كأن ابرة وخزته فتقلصت عنده مطامح الدنيا تتجمع في هذه القفزة وهذه الهرولة .

— آنستي ، مهلاً .

ووقفت في وجهه فتاة تنظر اليه .

— عفواً، آسف لهذا التصرف الذي قطع عليك هذا الحديث .

— اي حديث ؟

— اي حديث . . اما كنت تتحدثين اذن ! بينك وبين نفسك ، تتصورين شيئاً ! تبنين في خيالك برجاً ، تتأملين ، ليس من المعقول ان يكون غير هذا !

وبهتت الفتاة فاسرع الفتى : — اليس كذلك ! ام اني مخطىء .

— لم افهم ما تعني ؟

— المسألة لا تحتاج الى تفكير طويل . اما كنت تفكرين في شيء قبل ان اقطع عليك

— افكر !

— اقصد تفكرين ، تتأملين ، اريد جواباً ، نعم او لا !

— وماذا يهمك من امري ؟

— صحيح ، ماذا يهمني ! اما ترين اني اتطفل ، احشر نفسي فيما لا يعنيني ، ولكن يا آنسة ، لا بأس استميحك ان تسمعي لي بعض الهراءات ، اريد ان اجرب فراستي فيك ، انت ، انت .

— مجنون !

— نصف مجنون او واحد صحيح، ثقي اني لم اجن بك بعد .

وارتفعت يداه في الفضاء وهو يبدو يائساً :

— . . ما حيلتي ! ما حيلتي اذا كنت مدفوعاً منه الى ان اتحمل سخرية الناس وهزءهم ؟

— مجنون ! الله يشفيك !

رددتها مرة ثانية وهي تهم بالانصراف .

— مهلاً يا آنستي ! كأنني لم اوقفك الا لافوز بهذا الحكم القاسي ؟ وتنصرفين بسلام ؟

ماذا اقول له بعدئذ ؟ — تقول لمن ؟

— البطل . — البطل ؟

— الذي ارسلني اليك ! — ارسلك الي ؟ ؟ الي انا !.

— نعم اليك ! اليك انت ! الست بطلة ؟ نعم انت بطلة ! بطلة في تقدير نفسك على الاقل !

وضحكت ثم اردفت تقول : — يخيل الي انك ممثل .

— التمثيل في دمي يا آنسة ، دور واحد امثله لانه لاقى في نفسي قبولا وارتياحاً لما اريد ولما ارضاه ! بالذمة انا مدين لك بهذا الذكاء انا مجنون ! آمنت باني مجنون ! لطالما كنت اصف نفسي بالجنون حتى جئت الآن ولا تعرفين شيئاً عني فاصبت في هذا الحكم ! ولكن اليس لي ان اسألك كيف بنيت هذا الحكم الصحيح؟

— هذا الشعر المنتفش اوهذه النظرات التائهة! وهذا التصرف الغريب ! انت مجنون مجنون ! لا بد انك هارب من سان موريس، في شارنتون !

— ماذا تقولين ؟ انا . . من سان موريس ، من العصفورية ! من العباسية !!

— قلت من سان موريس ولم اقل العصفورية يا مسيو !

— ولكن هماسيان ! عندنا نقول العصفورية وفي باريس تقولون سان موريس ، يا خراب بيتي . سوف اخرب بيته !

— دعني الآن ، من فضلك اريد ان انصرف .

— تنصرفين ! ظهور الشمس في هذه الايام في سماء باريس اهون من ان ادعك تنصرفين ! اتظنين حقاً اني مغفل مجنون ؟

— لعلك فنان من مهاويس مونبارناس !

— مهوس او من سان موريس ! ايتها الفتاة ان حياتي بين يديك، اطلب منك ان تخلصيني منه ! رحمة بي ! اشفقي علي ! انت لطيفة ، انت ظريفة ، ما انت الا . . .

— انا طالبة فقط !

— طالبة او غير طالبة ، انت نموذج لهذا الفتى ! موديل ، موديل لست ادري كيف .

— اتدري انك اضعت علي الوقت !

— اما تدرين ان في هذه اللحظات يتقرر مصير شخص ؟

— من هو هذا الشخص ؟ — البطل !

— البطل ؟ من هو هذا البطل ؟

— وهل انا اغني في طاحون ؟

— ما به بطلك ؟

— حردان !

— ليرضَ من كيسه ، يجني على نفسه !

— يجني على نفسه او علي ؟ علي انا ! انا المسكين البائس المعذب . اكاد اموت يا آنسة ! لوجه الله الكريم .

— ماذا تريد مني بالضبط ؟

— انا ! لا اريد شيئاً ولكنني احب ان اسأله ، تعالي معي نسأله !

— رجعنا الى البطل ! فلقتني ببطلك ! اين هذا الارعن ؟

— هات يدك ! لاضغطها بشدة لاقبلها ، انه ارعن ! هذه كلمة صادقة حقاً ، يستحق اكثر من هذا ! انا لا املك نفسي ان أصارحه فهل تبلغ بك الجرأة وانت .. بطلة ان تصارحيه بهذا ؟

— اين هو ؟

— فوق ، في الطابق السادس !

— بلغه عني !

— اوه ! افهم ان اكون وسيطاً بين بطلين .. ولكني لست افهم ان اكون حاجب محكمة مهمته التبليغ ، ثم لا ادري .. ماذا اقول له ؟

— عجيب .. ماذا يريد البطل على الضبط ! افصح ! يخيل الي انك لا تحسن حتى التعبير عنه !

— يريد يا آنستي .. اقصد يا عزيزتي .. اتسمحين ان اقول الصدق والصراحة ؟

فاومأت برأسها ضجرة وهي تنظر الى الساعة في معصمها والتفتت اليه تقول .

— نعم ، ماذا يريد هذا البطل المدلل ؟

— يريد .. بطلة ! حبيبة ! او بتعبير آخر ، يفتش عن ملهمة !!

— يأخذها من هنا ؟

.. وقد كلفني جهداً شاقاً وانا افتش له عن هذه الملهمة . حرمني الراحة ! حياتي معه جحيم ! اذا نمت فانه يهزني فاقوم من فراشي قبل منتصف الليل وبعده لاجوس الطرقات والارصفة . انا افتش ، اصابني الكلل واليأس ! ضعفت صحتي ، واعتل تفكيري ، صدقيني ، انظري شعري ، انظري ثيابي ، اهمال مطبق وشرود ، انني انسى ان احلق ذقني ، وانسى كيف انظف اسناني !! اترين ؟ هذه حالة لا تطاق ! اذا دامت هكذا لا ادخل فقط سان موريس بل اموت اتصدقين اني لم اذق الطعام اليوم ؟

— يعني تريد ان .. ليس عليك الا ان تقوم كغيرك من الفنانين في هذا الحي ، اين عودك تعزف به على قارعة الطريق او في مقهى ؟

— آه .. والله لا اعرف الشحاذه ! يا ناس ! يا آنسة ! ارجوك لا تذهبي ، لا تذهبي ، لئن ذهبت فسوف انتحر ! نعم انتحر ! انا لا اكذب ، تريدين برهاناً ! اليك .

واخذ يضع يده على حزامه ليسحبه .

— سوف اشنق نفسي بهذا الحزام ، افضل عندي ان انتحر على ان ارجع الى البطل خالي الوفاض !

— كفى ثرثرة ، عندي موعد ، ارجوك دعني انصرف !

— انني واثق يا .. عزيزتي انه من الخير ان تضربي بموعدك عرض الحائط .. اما تشعرين بلذة حين تخلفين في موعد مضروب ؟ بالله قولي الصدق !

— يلذ لي احياناً .

قالتها وعلى شفتيها ظل ابتسامة ، ثم عادت الى التهديد والعبوس

.. ولكن افهم جيداً اني فتاة خطرة .

— اموت في الخطر !

— وغامضة .

— اموت في الغموض !

— من ؟ انت او بطلك ؟

— هناك صفات مشتركة بيني وبينه ، فلقد اثرت فينا العشرة ! اخيراً معك ! افلا تترك سبيلي ، لا استطيع ان اتأخر اكثر من هذا .. ان صوفتي (حمرة) في المواعيد ! اسرع ، اوضح لي ماذا يريد بطلك ، انا لا افهم كثيراً في الخيال ، انا هنا امامك اسير على الارض ، اقف على الرصيف ، اركب الاتوبوس ، اتحاشى الازدحام .

— سؤال يا عزيزتي .. ذكرتني بالسير على الرصيف ، في الطرقات ، اصارحك باني اكره الارض ، اكره هذه الخطوات الثقيلة .. اما تحبين الانعتاق من هذه الجماهير ، تحلقين بين الغيوم مثلاً .. تنتقلين من غيمة الى اخرى ، كهذه الغيوم التي ترينها في سماء باريس !

— كيف يعني ؟

— يعني هكذا .

واخذ يحرك رجليه في الهواء بحركة تمثيلية كمن لا يرى شيئاً امامه وكمن ينتقل في الفضاء .

— تريد مني ان اسير هكذا ؟

— نعم ، تخطين من غيمة الى اخرى ، فتقطعين الابعاد في لحظة وتنتصرين على هذا المكان الضيق المحدود ، وما تطويه في ثانية يمضيه غيرك في ساعات !

فهمت .

— واخذت تنظر الى السماء وغيومها تتلاحق واحدة اثر اخرى ثم التفتت اليه

— ولنفرض ان غيمة ابتعدت عن رفيقتها اكثر من اللازم ونقلت خطوتي فترات في الهواء .

اتدري ما ينزل بي ؟

— ماذا ؟

— تريدني ان اهبط من اعلى الى اسفل ! ماذا يحل بي عندئذ ، وهل تظن اني اصل سالمة الى الارض .

— طبعاً ، لا اصل سالمة .

— طبعاً ، طبعاً !

— اموت قبل ان يصل الاسعاف .

— انت ! تموتين ! وهل نحن بحاجة الى اسعاف ! يا عزيزتي والبطل الساكن في الطابق السادس ، انه يشارف السماء في علياته ، وكأن الفضاء ميدان خصيب له ، تحمله جناحاه الى اقصى الآماد كوني مطمئنة ، فلم يعد يخفى عليه ركن من هذه الزوايا ، ان كان للفضاء زوايا ! اطمئني ولا خوف عليك !

— يا له من بطل ! يا له من همام !

وسكتت لحظة وكأنها تفكر .

— يبدو انك مرتاح بعشرة هذا البطل .

— انا ! كفاك هزءاً بي ! تقولين مرتاح وانا محكوم بالاشغال الشاقة ! منذ لحظة طلبت مني ان احمل العود واعزف على الرصيف لاستجدي عطف المارة والآن تقولين اني مرتاح ! يعجبك هذا المظهر الذي . . .

— والآن معك ! اتخلي سبيلي او استنجد بالبوليس !

واشارت باصبعها الى شرطي يسير في اتجاهها .

— افهمي جيداً يا آنستي . . لا بد ان يراك البطل فارجو ان يكون ذلك بالطريقة الحسنى ، اريد ان انفض يدي من المهمة الشاقة المكلف بها ، اريد ان ابدأ هذه الساعة حياة جديدة . طلقت الماضي ، طلقت كل شيء ، انت الآن النور الذى يضيء حياتي الجديدة ، انت .

وبدر منها ما يشير الى قرب الشرطي ، فلمعت في ذهنه فكرة استجاب لها في هذه المناسبة وبدلاً من ان يدع الفتاة تهم بخطوة قفز خطوتين ووقف امام الشرطي فبادره هذا بالوقفة العسكرية الحقها بتحية مؤدبة لم يجب الفتى عليها بغير كلمات متقطعة :

شكراً . . شكراً .



الاستاذان اديب مروة واحمد عويدات

ومن ثم ارتفع صوته قليلاً :

. . من فضلك يا حضرة . . اريد ان . .

اقصد انا و . . زميلتي نريد ان نعرف ، هل مقهى الدوم بعيد من هنا ؟، نعم ، الدوم ، انت تعرف ولا شك ، اما انا فاسمع به ، وانت يا عزيزتي تسمعين به اليس كذلك ! نعم ، نعم اقصد ، البطل سمع بالدوم ولم يعرف الدوم ! الطقس بديع في الدوم الآن ، اليس كذلك ! اتخيل ان السين يجري من تحت الدوم آه يا باريس !! باريس في الدوم والدوم في باريس والبطل حين يحط بباريس يحط بالدوم .

واسترسل يهذي هكذا حتى ضحكت الفتاة وضحك الشرطي ، ولم تخف مع ذلك علائم الدهشة اذ اختلطت عليه عناوين باريس وخيل اليه ان قد يكون هناك مقهى للدوم غير هذا المقهى الذي لا يبعد اكثر من مائة متر في بولفار مونبارناس نفسه ، على انه التفت اليهما واخذ يشير بذراعه :

— تريدون الدوم ! آه ! مقهى الفنانين في مونبارناس ، انظروا ، هذه الساحة على مائة متر من هنا والى الجهة اليسرى تجدون مقهى الدوم ، ترفهوا جيداً .

وهنا انتصب الفتى فرحاً وهمّ ان يعانق الشرطي لكنه قال بحرارة وشوق : — باسم البطل اشكرك !!

ولعل الشرطي مهما اوتيت مخيلته من خصب واختراع فلن يفهم شيئاً من امرها على انهما ودعاه بفيض من الابتسامات والقبلات الهوائية وغابا في الدوم !

باريس — احمد عويدات

الشاعر البحار : جون مايسفيلد

مترجمة عن الانجليزية

بقلم يحيى صبري احمد

تصفحت مجلة الاديب فوجدت مقالة محررة بقلم الاستاذ جميل حمودي عنوانها : صديق الموج بيير فلوري. وحقاً كانت مقالة ادبية فنية ممتعة قرأتها بشغف ولذة. وهذه المتعة الآسرة حملتني على ان اتحف المجلة بمقال ادبي في مثل الموضوع عنوانه الشاعر البحار John Masefield وقعت عليه في مجلة انجليزية – مع الفارق هو ان مقال الاستاذ حمودي فني ادبي اما هذا فادبي خالص.

ولد جون مايسفيلد في عام ١٨٧٤، ولم يلبث ان واجه صعوبات الحياة ومشاقها اذ انه اخذ يعمل في البحار من سن الرابعة عشرة، وكان ذلك ايام كانت السفن الشراعية تواجه صعوبات البحار واخطار الملاحة. وكذلك واجه الشاعر وهو لا يزال حدثاً لم يشب عن الطوق، الطبيعة بكل قوتها وجبروتها، وقد تركت الخبرة التي اكتسبها بقضاء تلك الايام والليالي فوق البحار العاصفة اثاراً لا تمحى من ذهنه فتعلم بذلك في مدرسة الحياة — وهي اشق المدارس واقساها — كيف يزن الانسان ويقدر الاشياء حقيقة قدرها. فليس من العجيب بعد ذلك ان يمتاز شعره بنضج مبكر وتعقل عملي يصعب ان يباري به في جميع الشعر الانجليزي الحديث. ولكن مايسفيلد شغف فوق كل شيء بحب البحر وتقاليد الحياة فيه، وبذلك اصبح الشاعر الكامل لامة البحار.. ورغم كل مصاعب حياة البحار فانه دائم الحنين اليها فاستمع اليه اذ يقول :

«يجب ان اعود الى البحار ثانية، بين السماء المنعزلة والسماء الصافية وكل ما ارجوه سفينة ممتدة ونجم متألق يرشدها الطريق وارتطام العجل وهزيج الريح واهتزاز الشراع

«وضباب منتشر على سطح البحر وفجر ينبثق نوره في الصباح.

«يجب ان اعود الى البحار ثانية لان نداء الامواج المتلاطمة نداء عنيف واضح لا يمكن نكرانه.

«وكل ما ارجوه، يوم عاصف وقد تلبدت فيه السحب البيضاء تجري بسرعة.

«وتطايرت قطرات الماء، وارغى الزبد وتجاوبت اصوات طيور البحر. يجب ان اعود الى البحار ثانية الى الحياة البوهيمية الشاردة الى طريق الطيور والاسماك حيث تعصف الريح كسكين قاطع وكل ما ارجوه حديث ممتع بهيج من مسافر مرح دائم الضحك ونوم هادىء وحلم هانىء بعد ان تنتهي الرحلة الطويلة.»

وهذه بلا شك ليست اقوال رجل من اصحاب النظريات جلس في مكتبه او في حديقة هادئة وهو يتأمل جمال الطبيعة متجرداً، وانما هي اقوال رجل تألم وعرف الحياة وقد قاومت نفسه مصاعب الريح والامواج القاسية واستمتع بالتغلب والانتصار على اقصى ما يمكن ان يوجهه القدر من صعوبات وصدمات.. وحرفة البحار هي من اقدم الحرف، بدأ الانسان ينتقل بسفينته ليعود بها محملة بالنفائس سالمة الى الميناء، وذلك مذ وجدت فكرة الاتجار.. والشاعر بخياله الشاعري يقطع القرون ويتأمل تعاقب الحوادث وفعل الزمن ويجمع بذلك في لوحة شعره بين بابل وبريطانيا :

«سفينة نينوى العراقية التي شقت البحار من (اوفير) البعيدة

عائدة الى مينائها في فلسطين ذات الشمس الساطعة محملة بالعاج والقرود والطواويس .

« واخشاب السندل وارز لبنان والنبيذ الابيض الحلو .

***

« والسفينة الاسبانية العظيمة عائدة من الخليج تترنح على المياه الاستوائية التي انتشرت على جوانبها اشجار النخيل محملة بالماس والعقيق والزمرد والتوابل والياقوت والقرفة والنقود الذهبية .

***

«وسفينة الساحل البريطانية المعتمة وقد تركت الاملاح آثارها بدخنتها التي خيم عليها الدخان تشق طريقها بين الاعاصير في ايام شهر (مارت) العابثة محملة بفحم التاين، وقضبان الطرق وظهر الصلب واخشاب الحريق والادوات الحديدية وصواني الصفيح الرخيصة» .

ومايسفيلد اكبر بكثير من ان يكون شاعر البحار والبحار فقط فقد كتب بعض قطع هي اجمل قطع الغناء الجديرة بتقاليد الشعر الانجليزي لعل اجملها القطعة التالية :

«لقد شاهدت الفجر وغروب الشمس فوق البراري والتلال التي تعصف بها الرياح .

«وقد اقبلا بجمال عظيم يذكر بنغمات موسيقى اسبانية القديمة، لقد شاهدت شهر نيسان كالسيدة الحسناء تقبل بأزهار النرجس الصفراء .

«وتقبل بجشائش الربيع الخضراء وامطار نيسان الدافئة الناعمة لقد سمعت انغام الازهار واغاني البحر القديمة وشاهدت اراضي عجيبة من تحت شراع السفن البيضاء . ولكن اجمل ما اتاح الله لي مشاهدته من جمال هو صوتها وشعرها وعيناها وشفتاها القانيتان . »

والبحار في صراعه مع البحر الثائر يتجه دائماً بأبصاره الى الافق الممتد البعيد، والشاعر في احلامه يبحث كذلك في آفاقه عن مرسى لتصوراته يستطيع ان يحقق فيها احلامه . ومايسفيلد كشاعر وبحار يعبر عن كل منهما في شعره :

«نحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء . ولا حب العاشقين ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه .

«ولكنا نملك الامل في رحاب الله الذي ينتظرنا على نهاية الطريق فليس من حظنا ان ننعم بالراحة والسلام والهدوء لاننا نبحث عن عالم لن نعثر عليه .

«فليس من رحمة لنا على سطح الارض ولا لامثالنا الذين يبحثون عن عالم مختلف لن نراه ابداً . ولن نرى غير الطريق وطلوع الفجر وبشوق الشمس والريح والامطار

«والرقيب يترصد الطريق في ضوء النجوم ولن نرى غير النوم ثم الطريق ثانية .

« نحن نبحث عن رحاب الله ومأوى الجمال فنجد بدلا عنها ضجيج السوق ودوي الاجراس التي تدق عند دفن الاموات .

«ولن نرى المدينة الزاهية حيث يلتقي الاشخاص الذين تشع نفوسهم بالفرح بل المدينة التي تظهر بالآلام ويزدحم في طرقها المحزونون . نحن نقطع الطريق حتى يخيم الظلام ويكشف لنا غروب الشمس عن ابراج قد امتدت في الآفاق البعيدة . نحن نقطع الطريق من الفجر الى الغروب حتى يختفي النهار بحثاً عن المدينة المقدسة الكامنة خلف الآفاق ونحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء . ولا حب العاشقين ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه .

«ولكنا نملك الامل في رحاب الله الذي ينتظرنا على نهاية الطريق . »

ذلك هو الخيال الروحاني الذي حفظ الشاعر في كل المصاعب التي مرت به في حياته الطويلة المليئة بالاخطار وهي حياة التقت فيها الافراح بالاحزان على ان مايسفيلد قد وقع به منذ شهور (في عام ٤٣) قليلة اقسى الصدمات وهي فقد ولده في ميدان القتال في مصر ولكن شعره ما زال يعرض بكل اخلاص، الحياة بشرها وجمالها :

عندما تنفصل الروح عن الجسد
وتخمد حركة الجسم الذي كان ينبض يوماً بالحياة
وعندما يبحر الجسم الى عالم اللانهائية . .
فيا ايتها الروح حطمي الشباك
شباك الخديعة والنسيان
دققي النظر ان الشمس على حافة الغروب
دققي النظر وليغمرك الفرح
وتمعني في الصورة في انتباه ووضوح
وليغمرك حب الصورة باعزاز واخلاص
اذ انه يتولد عن الحب والمشاهدة،
ويخلق منها الجمال نفسه .
فالجمال لنا كالملكة
التي تحفظنا بروح هادئة
وتجزينا بالحب الخالص
في رحاب بلاطها الدائم الخضرة

بغداد — يحيى صبري احمد

احلام الناس الطيبين

بقلم حسين محمد خشن

جنانه .. ها انا اتناول القلم لاكتب اليك ، وها هي الافكار تتزاحم والرغاب تفور في اعماقي ترى هل يصح ان اكتب دون ان استهل رسالتي شاكياً ما اقاسيه من الم الغربة : هذا المنفى الاختياري اللعين ؟ ! الحياة « هنا » شقاء ، والامل يلمع كالسراب ، والله وحده يعلم كم سراب وسراب ينبغي ان يتجاوز المرء منا حتى يصل الى الماء ! كثيراً ما أثوب من اغراقي على اصوات مرعبة تولول من حولي بمزيج غريب من الاسى والشماتة .

— « يا هذا . . لقد ضللت السبيل ! »

.. والايام افواه تتحرك وتلوك بلا وعي آلي ، اضراسها « ساعات » من صلب تسحق الاحلام والعزم . ويستحيل الانسان الى امرىء لا إرادي يسير بواسطة الايحاء !

فتصوري يا عزيزتي اي نضال شاق اخوض عبابه وأي عذاب مبرح اصطلي بناره حتى احتفظ ولو بفضلة — بتذكار — من روحيتي اذا كان ولا بد قد كتب علي ان أئدها بيدي هاتين . . مسكين الاب الجاهلي ، انه اجدر بالشفقة من فلذة كبده الموؤودة !

الى متى تظل الاقدار والظروف تتلاعب بالانسان كريشة في مهب الرياح ، فان الكثيرين لا يملكون من امرهم ضراً ولا نفعاً . الى متى ستظل الاقدار تخط طريق الانسان ، تفتح له في جوفها سبيلاً يتجه كما تشاء ، ويؤدي الى ما تشاء . . وغالباً الى ما تأباه نفسه وتعافه كبرياؤه !! يجب ان يذل عناد الظروف وتلان قناتها حتى يتسنى لكل امرىء ان يسلك الطريق التي ترتاح اليها نفسه والتي يتاح له عبرها ، ان يؤدي اوفر كمية من الخير والنفع ، وان يلقى الكثير من الوان المتع ، ويأتي بكل رائع من موحيات الاعتزاز . . فلا ينبغي ان يظل حلم الانسان بالفردوس الارضي وهماً فحسب بل يجب ان يصبح حقيقة وفي اقرب وقت ممكن !

انا اعرف ان الزهور ما زالت تفتر عنها اكمامها ، وشمس الصباح تشرق كل يوم ببهجة ماتعة ، وما زال لسكون الليل روعته وقدسيته ، وانا احب كل هذه المفاتن وأراها جميلة .. ولكني احبها اكثر وأراها اجمل في بلادي .

.. وما الاديب — يا صغيرتي — الا طفل كبير واع يسعده ما يسعد الاطفال ويحزنه ما يحزنهم . وهو واع لانه اكثر من غيره ادراكاً لآلام الغير ، لذا صدقيني ولا تلوميني ، اذا قلت بأني اشعر بمسؤولية مباشرة عن بؤس كل بائس فوق هذا الكوكب الجميل .. وهذه المسؤولية تحتم علي النضال العنيد في سبيل رفع الحيف عن كل انسان وافساح المجال الشريف لكل انسان ! كم آسف لان ثمة اطفالا ليس عندهم قابلية للمرح ، وثمة اناس تلهيهم هموم الحياة عن ارخاء الاعنة لاخيلتهم ، عن ان يتذوقوا وهم يمضغون ايامهم هذه النكهة التي تثير الشهية والتي تجعل للحياة طعماً اثيراً . الحياة نعمة من السماء فمن العار ان تستحيل على بعض الانفس ، او على الاصح ، على الاكثرية الساحقة من الانفس ، الى نقمة ! !

لا ، ليس بالمستطاع ان نقنع بالحياة هكذا : كما هي .. وثمة قيم انسانية تتعرض للهوان والتجريح على مرأى ومسمع منا . ان هذا يعنينا . ان هذا يمسنا بالصميم

يا صغيرتي الجميلة :

ان نسمة رطبة تجرر اذيالها الحريرية فوق وجنتي فأشعر بسكينة ناعمة تحل بقلبي سرعان ما ينتصب من اعماقها ايمان جبار يبسط ظله الى ما وراء الافق البعيد .

ان هذا الليل قد اشرف على حتفه وان النهار على ابواب الشفق .. وها هي طرقات قبضته الحديدية تجلجل كالرعد ، لقد آلى على نفسه ان يقتحم هذا الليل البهيم ويبدد وحشته بساطع نوره .

وان الساعة تقترب . فملايين البشر ، الملايين من البؤساء والمعذبين والمستضعفين يتحسسون اجفانهم مزيلين ما علق بها من الوسن او رويداً رويداً تسطع امام اعينهم قيم جديدة تجسد لاذهانهم مدنية فضلى وحياة مثلى ، فينفضون عنهم الكسل بعنف ثم يعدون بحماس ، ومن برهة لاخرى يتحسسون جوانبهم علّ العناية تنبت لهم اجنحة فيطيرون ! ! . ترى من يستطيع ان يوقف السيل الطامي ؟ . . من يستطيع ان يقف بوجه السيل الجبار ؟ !

ان الافريقي ذا اللون الاسود يتطلع الى حريته التامة ، والصيني الاصفر يأبى ان يكون اداة للاستهلاك فقط ، والعامل الابيض يرفض ان تظل قواه ينابيع ثرة للطفيليات المدللة . لقد بدا ، واضحاً جليا ، افق منير . وها هي طلائع التقدمين تولي وجوهها شطره : منها من ينطلق كالسهم ، ومنها من ينقض كالنسر ، ومنها من يعدو ومنها من يزحف ، ومنها من يدب كطفل لم يبلغ الفطام .

حديثي هذا اليك — يا حبي — بسيط فالمرأة الجميلة — مثلك — ليست بحاجة الى ثياب فاخرة لكي تبدو جميلة . ففي ثوبها البسيط الكفاية ، بل لعل روعتها ناجمة عن هذه البساطة فقط . وان قول الحق ايضاً ليس بحاجة الى تزويق لفظي كي يجد سبيله الى النفوس الطيبة السليمة . انا اعتقد — بل وأومن بقوة — بان ما اكتب اليك هي امور بديهية ليس باستطاعة اكثر الناس تعنتاً الا ان يسلم بها . . رغم حزازات نفسه المريضة !

كم هي جميلة ومشرفة حياة بسيطة لانسان كادح في مجتمع ما حتى وان تكن مشحونة بالعمل الجسدي الشاق طالما هو يشعر شعوراً اكيداً بان كرامته الانسانية محترمة كأي انسان . . كأكبر انسان يشغل مكان الرأس في مجتمعه ؟! .

ان تعريفاً جديداً للمدنية يبرز : فليس مقياس مدنية الامم بمقدار ما تملك من الجيوش والاسلحة والمستعمرات ، بل بمقدار نصيب طبقات شعبها من الرفاهية والحرية والكرامة !

. . وان نظرة عجلى نلقيها على التاريخ ترينا المراحل التي اجتازتها البشرية في تقدمها الصاعد . ونظرة اخرى ، وان تكن اقصر فهي اقرب لافهامنا ، نستعرض بها الاحداث التي عايشناها وما كان يفور في جنباتها من الافكار والنزعات ، تظهر لنا تطورات الفكر البشري التواق الى التحرر رغم محاولات الرجعية المتكررة وتكييف رجعيتها وفق مقتضيات الظروف والامكنة ان الاستعمار مثلاً اصبح سبة يتجنب تسميته باسمه حتى اكثر المتشبثين بروحيته ويستنبطون له شتى الاسماء الخلابة الخداعة . وحق الامم والافراد بالحرية والسعادة قضية مسلم بها مبدئياً . . وان يكن الكثير من الامم ، والاكثرية الساحقة من الجماعات البشرية ما زال النضال لديها على اشده حتى تقر حقها واقعياً ايضاً وتستخلصه كاملاً من بين براثن المغتصبين ! .

. ويوم النصر يقترب . . ان الشمس ستشرق في الغد . . وستمتد اشعتها لتحتضن بجنان طفلاً وطفلة ، نظيفي الثياب ، يطفح وجهاهما بالعافية ، ويتدفق من عيونهما ينبوع غير من حب الوجود ، تتلألأ فوق صفحته الوان فاتنة من الاطمئنان والبهجة والتفاؤل ، يسعيان بمرح كحملين صغيرين الى مدرستهما الجميلة . ويهز النسيم اغصان الشجرة الكبيرة فيخال انها تبتسم لهما وتصفق مشجعة
— : مرحى يا اطفالي ! . . لكم الدنيا على رحبها .

حتى حقول القمح الخضراء فهي تتمايل متراقصة تحت اشعة شمس الصباح ، تلمع على مفارقها حبائب الندى اللؤلؤية ، وقد تبدو من فوقها آثار الدخان ، ولم تعد تنتهك حرمة احلامها قرقعة الغيلان الحديدية وقد تجمعت اضلاعها على قلب لا اثر للرحمة فيه يدوسها بعنف دون ان يشعر نحوها بأسى !.

والناس ينظرون بفخر الى كل طرائف الوجود لانه صنع ايديهم ، ويتماوتون من جمال الحياة لانه لولاهم لم يكن . ويحدقون بثقة وعزم الى الغد : انه لن يكون الا كما يشاؤون ان يكون ! !

ليست هذه احلاماً . ان هذا هو مصير الانسانية المحتوم نتبينه بوضوح وجلاء كما نتبين هذا الرجل وهذه المرأة ، هذا النهر وهذه الشجرة . فلقد انقشعت الظلمات .

يا جناني الخالدة :

وها هما شفتاي تفتران عن قبلة اهم بطبعها على . . ثغر الحياة ، وقد بدت لعيني امتداداً طبيعياً ومعقولاً لك — انت ايتها الحبيبة الصغيرة — اذ تبدد من على سطحها كل أثر للطمع والحسد والغدر والاحتيال والاغتصاب وغيرها من جراثيم الانظمة الاجتماعية الفاسدة . والناس في زحمة الحياة يسابق كل منهم الآخرين حتى يكون أجدى — في مضماره — وانفع للمجموعة البشرية التي يعايشها . هذا هو الانسان « السوبرمان » وأنف نيتشه المجنون راغم !!

انه لا يضاهي قسوة الحياة الا جمالها . جمال الاحلام . . التي ينبغي ان لا تظل احلاماً !

داكار - السنغال　　　　حسين محمد غشم

هو ذنبي

كل ما تفعلين تدركه نفسي ويأبى ان يحتويه ضميري
حينما نلتقي ويخفق قلبـانا احس ارتعاشة المقرور
وأدرى ما يغيب خلف محياك وما ينطوي وراء الستور
واختلاج الجفون يؤلمني منك وان هز كامناً من غروري
كم تحفزت كي اقول وظلت شفتي قيد عـالم مأسور
وتلمست ما اريد .. وجاءت كلماتي ببحة المصدور
فتبسمت .. ثم عدت الى صمتي كأني في معبد مهجور
غصّ قلبي بما تراءى له منك فأهوى على الشراب المرير
لم يمت ذلك الذي فيه لكن عاد حياً فضلّ بين القبور
يتردى على بقـايا من الظن ويصبو بنشوة المخمور

***

هو ذنبي، فقد نبذت سماواتي واحرقت جنتي في سعيري.
انا حولت جورنفسي الى نفسي وأذللت سيداً من شعوري

بغداد — اكرم الوتري

الى زهرة

يا زهرة ضمت عـلى العبق
شفتين من جمر .. ومن شفق !
لا تبخلي بسلافة القبـل
ورحيق ثغـر بالهوى ثمل
كي لا يموت بفجره املي
وسنـا رؤاي ورعشة الغزل !
وصبابة تنزو على حُرقي !

انا للجمال خلقت ... اعبدهُ
في كل شيء رحت انشده !
في الجدول الساري امجده
في الزهر .. في لحن يردده
قصب الرعاة السمر في الفلق!
في النعجة البيضاء .. في الوادي
في المنحنى .. في سفحه الهادي
في اليم .. في ملاحه الشادي
في ذهل ثغر للهوى صـاد
تغفو عليـه خمرة الغسق !

يا زهرتي .. يا كأس الحاني !
ان جئت ابغي ثغرك الثاني
ردي شفاهي عن هوى فـان
فلذاذتي الكبرى بحرماني
وسراب حلم راقص الالق !

فؤاد الخشن

أنت !

اي شيء انا ؟ اسير وحولي ألف عين، معتوهة الاجفان
يتندى على مراشفهـا الليـل سؤالا مجرح الالوان
اي شيء؟ أحفنة من تراب الارض يمضي في جوفهـا بهتاني
ام مدى ينطوي الى غدي المجهول، ساه في غفلة الهذيان
ام مصير يقله الابد الدامي ويهذي بعالمي وكياني
انا امشي — وليتني لست امشي — كل يوم الى قرارة حان
اعصر الروح في الكئوس، ولا اروى، وتشتاق راحتي دناني
او معنى الحياة، ان اسرف الروح، واعطي ما ليس طوع بناني
او معنى الحيـاة، ان اسفح الفكر، واعطي سلافة الوجدان
او معنى الحياة ان ابلوَ العيش ضروباً، أعلها احزاني
او معنى الحياة تجربة قصوى تمطو على جراح زماني

عالم لا اريـد ان ينطوي بي دون ان ارتوي بكأس وجودي
ان عيشي مدى يسير به الركب وما فيه لفتة من حدودي
أأسير لدي مقاطعي الصم، اسير لما تصوغ جهودي
ليس معنى الوجود ان اقطع الافق وافنى عـلى مداه البعيد
ان معنى الوجود ان اسكب الروح ظلالا علوية التمجيد
ان معنى الوجود، ان فجر الصبح سناه على شفـاه الوجود
ان احس الهوى، فمـا غير حبي يعتق الروح من ثقيل قيودي

« انت؟» هذي الظلال تشربها روحي ، وتعري بها طيوف نشيدي
«أنت؟»هبني الحروف«انت»!هبك العمر بكراً في كؤوسي ووردوي
ليت شعري ؟ وما الوجود لو أنا لم نكن غاية المسير المديد
يستحيل الخلود وهماً اذا لم يكن الحب مذهباً للخلود !.

حمص انعام جندي

عينـــان

انا قد عشقتك يا صبا طهري من حيث لا تدرين او ادري
انا قد عشقتك في الضحى القاً زفت بشائره يد الفجر
شهقات روحي يا رحيق غـــدي سحب معطرة من الشعر
فصـــلاة قلبي كم سمت نسكاً وهمت كأبخرة من العطر
انا قد عشقتك جمرة بـــدمي والند لا يذكو بلا جمر

***

عينـــاك اسرار محجبة بالسحر والاحلام والخمر
كم قد سكرت بجانها ولماً وصحوت والعينان في سكر

باريس عبد القادر رشيد الناصري

مصرع خيـــال

يا جنون الرياح ، يا ظلمة الليـــل ، ويا وحشة النجوم العرايا
ما لهذا الوجود ، ينهدّ في النوء ، وينهار في مطاوي رؤايا ؟.
ما له ، كالذبيح ، يخنقه الرعب ، وفي صدره المدمّى بقايا ..
محجري ملؤه الدخان ، وكفي تترامى على اللظى وشظايا
كانفجار الطوفان ، يندفق الليل ، ومثل الهبـــاء يفنى الهوايا
كل شيء يغيم ، والدهر ينماع ، وفي الارض ثورة وشكايا .

.. ترى نغمة من ضمير السماء
تمطت بصدر الزمـــان المبيـــد
ارى كل منطلق ، في خطـــاي
يضيق ، وكــــل طريـــق يبيد
واشعر آنــاً كــأني هرمت
ومت ، وآنــاً كأني وليـــد
ينوح في ضحكـــتي مأتم
ويضحك في عبرتي اي عيد .!

عاد ملء الفراغ ، ينبض جوع في ضميري ، وحلم دنيا قتيله
وتوابيت ذكريات تهاوت خلف ظلي ، على الدروب الطويله
وأغان مكفنات بصمت أبدي عـــليّ ارخى سدوله
انا عبد الخلود ، كنت بحلم اتلهى ، وارتجي مستحيله
مزقت قبضة الفناء حجابي وارتني السراب بعد الجميله
وتنـــاهت الي اسطورة الدن ومـــا فيه من افاع جميله
وعرفت السموم مـــلء عروقي قبـــل غيبوبة الغروب الثقيله
وتلاشى بي السكون ، وأخفى عني القيد همسه وصليـــله
وتعثرت في التراب ببـــاب لمكان كنت اشتهيت دخوله
فتوقفت لحظـــة .. اتملى عالماً ... اطفـــأ الوداع طلوله
وتمنيت ، في انتحاب ، على الاقدار ، لو أبدت علي الطفوله !

.. انا العبد مات الخيال الذي
تمدد مـــلء فراغي الأبيـــد
ترايـــل لا هاتف للجمال
بقلبي ، ولا ملهم للنشيـــد
هو الحب ، بل هو روح الحياة
فنت فيه ذاتي وذاب الوجود
تهاوت هياكـــله في الظـــلام
وغابت وراثي كـــوم سعيـــد
وها أنا ازحف تحت السماء
لابحث لي عن خيال جديد !

البصرة - العراق محمود البريكان

رؤى

يا خليليّ عللاني فاني ضقت بالعيش والهوى والزمـــان
اسقياني — ان شئتما — جرع المر ولا ترحما شبابي الفاني
وذراني فوق الرمال وحيداً متع العمر أقفرت والمغاني .
يا خليلي والمزار بعيد يتنـــاءى في كل آن وآن
أين صارت مضارب الحي منا عللاني بذكرها عللاني
والعقيق العقيق اين توارى اين اضحت ملاعب الغزلان
كل فتانة اللحاظ لعوب تتهـــادى في زيها الفتـــان
والندامى في الساح نشوى سكارى اترى يذكروننا في الاغاني
اين ضاعت تلك الرؤى يا خليلي وغابت عن اعين الركبان
ما حياة الانسان الا منام في منام منوع الالوان

ثم يصحو فلا يرى في الزوايا غير اشباح امسه النشوان
فيعيد الفؤاد حيناً رؤاه ثم يلقي بهـا الى النسيان
وتجف الحياة الا بقايا حالمات تهيم في الاكوان ..

نيويورك – نزار الكيالي

غـادتي

غادتي .. فجر شبابي هلهلي لحن الرغاب
سلسليه عبقريا ساحر الايقـاع سابي
هوذا القيثارة النشوى تناهت في العتاب
عانقيها فهي تشكو طول هجر واغتراب
انشديها ذكريات من ليالينا العذاب

غادتي الهمتني الحب سمـاوياً سما بي
فيه ما يسفحه النور على زهر الروابي
فيه من هفهفة الاظـلال من لون الغياب

انا لولا الحب ما سلسلت لحني في عذابي
انا لولا الحسن حطمت على الدرب ربابي
انا لولا وثبتي للنـور .. هزئي بالتراب
كنت، ما كنت سوى طيف تهادى في السراب

غـادتي يا سر نجواي ويا معنى انجذابي
هدهديه نغماً يغفو على احضـان غابي
وابعثيه حالماً مثل الضحى عبر الهضـاب

بولس اسعد الشرنوني

يــوم مولدي

أتيت الحيـاة عـلى غرة ... ولم ادر ماذا أسر القـدر ؟
ولم أدر ما خبأت لي الصروف ... وما اضمرت لحياتي الغير ؟ ؟
بعثت الى الارض من عـالم ... يروق النـوى فيه لي والمقر
هبطت على ظهرها كالملاك ... وسرت بهـا حيث لم استقر
فقد جئتها مكرهاً باكيـاً ... ولم أرض لي مهدها مستقر
وقد ونستني بأوضارهـا ... فعانيتها منذ عهد الصغر
ولما تضايقت من سجنهـا ... ولم يك لي من أسـاري مفر
تفتحت في روضهـا زهرة ... اغني المساء وأناجي القمر
ارف على ظهرها كالسنـا ... واسري بها كنسيم السحر
أذوب في فمهـا بسمتي ... فاضحك زهر الربى والنهر
وأسكب في اذنها نغمتي ... فأرقص قلب الحصى والحجر
وارتـع بين الرجـا والقنوط ... وملء اهابي الاسى والضجر
ارى دمعتي في سقيـط الندى ... والمحهـا في ابتسام الزهر
اجس فؤادي في مزهـري ... والمسه في حنين الوتر
اطيل التأمل في الكائنـات ... فأغدو غريقاً ببحـر الفكر
بعثت وحيداً بهذا الوجود ... فرحت اغالي شقاء البشر
ولو صدقتـني انا نيتي ... لما مس قلبي الاسى والكدر
فقد خادعتني بروق الخيال ... فلم استطع من يديها المفر
فعدت بوهمي اعاني الشقـا ... والقى من العيش شتى الصور
وعادت حيـاتي بهذا الوجود ... اقاصيص قد ملئت بالعبر

القطيف – المملكة العربية السعودية – محمد سعيد المسلم

جنـازة الاحـلام

دفنت احلام الصبا .. فأذهبي ... ما الحب بعد اليوم من مذهبي
دفنت احلامي، فهل يا ترى ... ما زلت يا ليلى تهيمين بي ؟!
كأنني لم أدر معنى الهوى ... او لم تكن عيناي عيني صبي
غدوت لا اشعر ان تبسمي ... وبت ان شاهدتني .. اختبي !!
انا الذي عهدتني عاشقاً ... امسيت في دنياك مثل الغبي
انا الذي عهدتني لاعباً ... في الحب امسيت بلا ملعب
والجنة الفيحـاء من عمرنا ... تناوحت صحراء لم تعشب !
دفنت احلامي .. وشيعتهـا ... وسرت في جنازة الموكب
والحفل من خلفي زهور ذوت ... والنجم تبكي على كوكبي !
جنازة الاحلام هذي ؟! بلى ... اليوم حررت شعوري السبي !
هاتوا الشموع البيض افنى بها ... فانتهى من امسي المجدب

جنازة الاحلام !! يا شمعتي ذوبي سريعاً كي ارى مهربي
ذوبي اكي اعلن ان الهوى دفنته في واحة المغرب

رام الله - الاردن حنا جاسر

موطني

موطني بسمة الصباح المنير ابدعته يد الاله القدير
نحن حلم سجي عميم العطايا في فسيح الهدى وكنف الضمير
ايه يا أرض كم شقينا زمانا نبعث المجد يوم عزف النفير
نحن حلم يطوف صحراء روحي نحن وشي من السحاب المنير
يا بلادي كساك ربك حسناً وانهى المجد في الجلال الغفير
تهتدي الناس والهدى في حمانا موطني النور المضل العسير

انت من انت يا ليالي الرزايا تدأب الصدم في مجال النسور
انت يا ارض من هيولى الهدايا اسك العمر من عظام الدهور
نحن في الارض نشوة من خيال تتهادى على جبين العصور
نحن قوت تغذت الارض منا يوم كان الهوى شراع الضمير

نصرف العمر والسنون شراع تمخر الدهر في اصطدام يسير
يا بلادي شدت طيور الاماني وتخمد الصوت عصفة الزمهرير
يا جبين الزمان كم كنت نوراً يدفع الضيم والشفا عن خرير
نكرم الضيف في اشتداد الرزايا ملعب المجد في ربانا النضير

شامات - لبنان الاب عقل

يا اخي

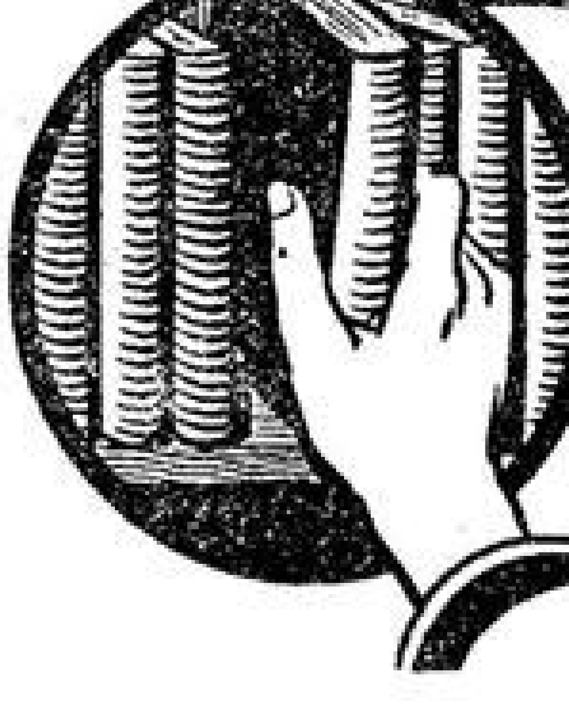
يا اخي الضارب في التيه وما كانت خطاك
حاربتك الريح من حولك تبغي منتهاك
والسراب انداح مغروراً فوارته رؤاك
ودجا الليل ولم يعصم من الليل سراك
وترامى الشوك في الدرب فسارت قدماك
انت لم تحفل به حتى وقد مص دماك
وسموم الريح هبت فتلقتها يداك
والطوى آذاك واشتد ولم يرحم طواك
انت تمشي في اندفاع والدنى تمشي وراك
فاذا اليأس تراءى حطمته قبضتاك
واذا الدمع تنزى خففته مقلتاك
يا اخي ان تهت في الدرب فلا تلق عصاك
سر وكافح جاهداً ما اسطعت تبلغ مبتغاك
كن اميناً صادق الرأي جريئاً في دعاك
سوف القاك وان عز لقائي ولقاك
سوف القاك أخي حراً كريماً في حماك
من سوى زندك، يبني المجد قل لي: من سواك
انت صوت عبقري وانا رجع صداك

غزة هارون هاشم رشيد

الافق الازرق

هناك .. هناك .. يا زورق معالم افقي الازرق
هناك بملعب الاضواء حيث الشمس لا تشرق
وحيث الثغر لا يشبع .. والاجفان لا تطبق
وحيث الزهر لا يذبل .. والاشياء .. قد تعشق!
هناك .. هناك .. في دنيا من الآمال .. لي تخفق
رأيت — وكم أرى !! — قصراً .. ملىء الساح بالزنبق
على جدرانه تترى .. مشاهد حلمي الاحمق
وفي ارجائه .. تدوي .. اناشيد .. بها يغرق!
به احيا على امل ولا اخشى غداً يرهق
اعيش اللذة العجلى ولا اندم .. او اشفق!
.. هناك .. هناك .. بعد الافق تحت نوافذ المشرق
بدت دنياي .. كالاوهام .. في وهج السنا تحرق
فسر بي .. لم يعد بيني .. وبين الافق يا زورق
سوى عمري الذي يمضي . وايامي التي تنفق!

باسم الجسر



مكتبة الاديب

الشعر الصوفي

لنسيب الاختيار - ١٤٣ صفحة - حجم متوسط - المكتبة الاهلية ببيروت

أحب من الكتب ما وافق مزاجي ومزاج مؤلفه، وقلما يتفق لي هذا التوافق. والكتب منها ما تحس به تنسم الرياض، ومنها ما يلفحك وهجه، او يهيج عليك اعصابك، او يذهب بك مذاهب الفكر والشعور. وعلى الناقد ان يفضي بطبع نقده، ليعلم القارىء والمنقود اي نوع من النقاد هذا الذي يحلل الاثر، وينشر الخبر. وعندي ان امر النقاد على المنقودين والقارئين اولئك المتزمتون في النقد، الذين يؤثرون التقية، ويوارون نفوسهم بالتجرد. ولو سألت احدهم عن مذهبه ونظرته لحرت في أمره، فهو حيناً يبدو لك انه من اهل النزعة الموضوعية، وآونة يقرر امره في النزعة النفسية، وتارة يقول انه من التأثريين الذين يجعلون صفحات قلوبهم كورق التصوير، لا يكاد يقع عليه بصيص من ضوء حتى يؤثر فيه بالمشاهد والاشكال. وهؤلاء خير من سواهم. وسواهم الذي عنيت ملتزم للصمت في نفسه، مكثر للكلام في غيره، وقد ينقدك من وراء حجابه الصفيق فاذا جرحك لم تعرف مصدر الطعنة. ولعل اشبه انسان به ذاك الذي يرجمك بحجر فتتلفت فلا تراه.

تلقيت الصديق الاستاذ نسيب الاختيار حين دفع الي كتابه «الشعر الصوفي» بكثير من الحفاوة. لاني أعرف مزاجه، وأعلم كيف ينبغي ان يكون حال كتابه. ولم اعجب لامره يوم قال لي انه بسبيل كتاب يؤلفه في اشعار الصوفيين، فقد عرفته اذ كنا ناشئين صوفياً بالفطرة. لا تستعبده الوظيفة، ولا يقيده المجتمع. ولو لم يصنع كتابه هذا فينضم به الى جماعة الصوفيين لناديته بهذا النداء:

— ايها الاديب البوهيمي.

فالبوهيمية افضل ما ينبغي ان يطلق عليه من الاوصاف. وقد كان يعب من شراب الصوفيين زمناً، فلما رويت عروقه بهذا الشراب، اخذ يكتب الكتاب.

تكلم في كتابه على الحلاج وابن الفارض ومحيي الدين بن العربي ورابعة العدوية والشيخ السهروردي، اما الحلاج فأعجبني في كلامه عليه معارضته بسقراط وتبسطه في المحنة التي لقي بها الحلاج مصرعه، كما لقي سقراط. وكلاهما كان ضحية الفكرة الحرة.

وقد اورد المؤلف شهوداً عدولاً على الحلاج بعضهم كان معه وبعض كان عليه. ولو أدخل بين هؤلاء الشهود أبا العلاء المعري الذي كتب عن الحلاج في رسالة الغفران كل مستحسن لما شالت كفة المفكر المصلوب.

اما ابن الفارض فنسج له المؤلف عالماً خاصاً فصل به القول في نشأته وثقافته وتجواله في البلاد، ودرس حالة عصره السياسية والفكرية والدينية. وألم بتحليل صوفيته الذائبة الهفهافة، غير مستعين بشواهد من شعره اذ كان يعلم ان بطوق القارىء المتتبع الرجوع الى ديوانه المطبوع.

وكان باذلا جهده في ان ينزع شعر ابن الفارض من حلبة الشعراء المترفقين كما شهد له القدامى لينزله في حلقة الشعراء المتفننين، حين يراه قد اجرى في لغة شعره تعابير فنية رائقة ما عرفها الصوفيون قبله. وقد خلع عليه وصفاً صائباً في تحليل الشعر. وهو انه كان شاعراً صاحب وحدة موضوعية، يأتيك بالقصيدة على انها ذات وحدة فائقة. بعيدة عن الاستطراد الذي عرفه الشعراء المتقدمون والذين عاصروه. ولم يجد الاستاذ الاختيار نبواً في شعر ابن الفارض اكثر من الافتقار الى الجزالة. على اني اجد في شعر هذا الصوفي تعسفاً فنياً في الصوغ والاداء. فقد وقع فيما وقع فيه معاصروه من التصنيع والتكلف في استعمال ضروب البديع. وجميع شعره موسوم بالبديع الذي يقل فيه التكلف او يزيد.

اما رابعة العدوية فويحها من صوفية شاعرة. تأخذني رهبة كلما فكرت في امرها، ورأيت الى حالها التي كانت فيها وما صارت اليه. كانت جارية عند سيدها ثم صارت وهي حرة الى الصفاء الروحي، والحب الالهي. وقد احسن الاستاذ الاختيار الى رابعة العدوية فصورها كيف طهرها حب السماء من ادناس الارض. ولا اشك انه صنع لها ذاك لتحسن هي اليه، فلعله في استغراقة من شطحاته البوهيمية يرى خيالها ميأساً بين عينيه اذا مشى، او بين سطريه اذا قرأ.

وقد رآها صوفية نقية مثلما رآها غيره حين راحت تقول لربها

احبك حبين حب الهوى وحباً لانك اهل لذاكا

وعندي ان رابعة حرمت اهل الارض الفانين هذا الحب الصافي ولعل فيهم من كان يفتقر اليه افتقار الارض الجدبة الى بل المطر. وجادت به على رب السماء ولعله كان في غنى عنه.

وللكتاب مقدمة ممتعة في التصوف الاسلامي والغزل الصوفي، ممزوجة بمقارنات من الادب الغربي، ويتجلى التصوف في الفكر والشعور. وقد ساق المؤلف الشواهد على نقاء الصوفية، ولم يسقها على كدرتها. ولذلك لم أجد أثراً لمقالة المعري عنده. وكان ابو العلاء من أشد الاعداء للمتصوفين. سلقهم بالتعبير، ولمزهم بالتهكم، وجعل نفسه قطنياً متيناً، امام صوفيتهم المتهافتة.

دمشق زكي المحاسني

سان مرتين بطل السلام

لملاتيوس الخوري - ٢٨٠ صفحة - حجم كبير - ورق صقيل

بوينوس ايرس الارجنتين

يرجع عهدي بملاتيوس الخوري الى ايام التدريس، يوم تركت مدرسة الكتاب والقلم الى مدرسة العالم كما يسمونها، يوم كنت اقرأ اسمي تحت بضعة ابيات من الشعر فيصفق قلبي طرباً ثم احك باصبعي على ذلك الاسم لاتأكد من انه لم يكتب بقلم رصاص. يوم كانت تتزاحم في خاطري امجاد الابطال والعظام في تاريخ الامم، اولئك الرجال الآلهة الذين كنت موقناً، اللهم بيني وبين نفسي، بان اصبح يوماً من الايام واحداً منهم، شأني بذلك شأن معظم التلامذة على مقاعدهم المدرسية. ولكن سرعان ماتبددت هذه الاوهام عندما هبطت من برج احلامي العاجي، ورأيتني ازاء عشرين طالباً اختلفت عقولهم كما اختلفت وجوههم، امكث معهم ساعة من الزمن ثم اصرفهم لاستقبل عشرين وجهاً جديداً لا اعرف عنهم الا انهم جاءوا ليجمعوا في رؤوسهم بعض «الحراتيق» على زعم ميخائيل نعيمه.

من الطاولة الى اللوح الاسود ومن اللوح الاسود الى الطاولة، على هذا المنوال كانت تتكرر ايامي وسط دائرة ضيقة ذات آفاق محدودة طالما ضاق صدري من الاتكاء عليها، ولكم كنت اطلق الزفرة تلو الزفرة اثناء تأملاتي الطويلة المتلونة بألف لون ولون: سخافة، اضطراب، اتزان، مجد، تردد، اقدام، جرأة، خوف، زهو، ذبول، عزاء، يأس، حب، كبرياء، الم وهكذا دواليك فلو اجتمعت كل هذه العناصر المتسارعة المتضاربة في رأسي آنئذ دفعة واحدة لكان رأسي اول قنبلة ذرية برزت الى هذا الوجود، كانت عيناي تغرورقان بالدموع احياناً، كنت انظر بدهشة وخوف، بهزء واستخفاف الى هذا الميدان المترامي بل الى هذا الخضم الواسع الذي ندعوه العالم قائلاً في سري: ما اصعب الحياة وما اقوى ابوابها لعنة هي الارض وشياطين هم الناس.

في هذه الفترة القلقة من حياتي شاءت التقادير ان أتعرف الى ملاتيوس الخوري الذي انا بصدده في هذه السطور، فبات على صلة بكل ما اختلج في نفسي من الم ونقمة واضطراب وغيرها من الاحاسيس التي رافقتني وقاسمتني كأسي ولقمتي وفراشي. تلقيت منه رسالة لا ازال احفظها حتى اليوم، رسالة خليقة بالتسجيل لما حوت من حكم بليغة تقطر بلسماً وعزاء، رسالة تنبض بالقوة والايمان، كان لوقعها صدى مؤثراً في اعماقي، عرفت منها لاول مرة ان ملاتيوس الخوري هو ابن الحياة البار.

وها هو اليوم بعد ردح من الزمن يرسل الي كتابه الجديد «سان مرتين بطل السلام». ان ملاتيوس الخوري يؤكد اليوم ان ما كتبه لي بالامس لم يكن ادعاء فارغاً ولا سحابة صيف مجدبة بل كان ايماناً ثابتاً وعقيدة راسخة ونقطة ارتكاز دأب على صيانتها من اعاصير الخمول والكسل، فرافقته مرافقة الظل وها هو اليوم يبرهن عن ثباته المعهود في كتابه الجديد حيث استهله بهذا النداء: «الى الامام، الى العلاء الى الكمال».

قرأت هذا الكتاب فاذا بي المس التضحية والجهود التي بذلها المؤلف في هذا السبيل، وبالرغم من ان الكتاب لم يكن ثمرة خلق او عصير استنزف دفاع المؤلف بل سيرة حياة محرر عظيم اخذت عن مستندات ومصادر تاريخية رسمية، فالوقت والدقة والبحث المتواصل والمواد الرئيسية التي احاط بها في تتميم هذا المشروع كلها جديرة بالاعجاب والتقدير.

كل عمل نعمله تحت الشمس اذا لم تتقدمه الغاية السامية يعد سخيفاً باطلاً. ولعمري ان كتيباً توجيهياً بسيطاً يعالج الحالة الراهنة ويضرب صاحبه بمبضعه على نقطة الالم، لهو عندي افضل واعظم من اي مجلد حوى بين دفتيه ركاماً من الاحاجي والمعميات وحشوا من الفلسفات الفارغة التي يعمد اليها تقلاء المؤلفين والانعزاليين الانانيين، كوسيلة لابراز معلوماتهم وما تكردس من نفايات طي جماجمهم الصلعاء.. فعمل ملاتيوس الخوري يعد عملاً مجيداً بالنسبة الى الغاية السامية التي يسعى اليها، فهو يقدم لشعب لم يزل خدراً، مآثر شعب انتفض من دمنة الخنوع واستيقظ على حداء المحررين الميامين

ولقد قال لي احد القادمين من الارجنتين : « كان الاجدر بملاتيوس الخوري ان يقدم لنا عوضاً عن سان مرتين بطلاً عربياً كطارق بن زياد مثلاً او غيره من ابطال العرب » فنرد زعمه على صفحات هذه المجلة قائلين :

ما من احد ينكر عروبة ملاتيوس الخوري واخلاصه لقضية بلاده واعتزازه بابطال العرب ، لكن البلاد العربية افتقرت ولا تزال تفتقر الى مثل هؤلاء المحررين العظام ، فلو ذهبنا بعيداً واستعرضنا مواكب الدهور الخالية لرأينا شعباً مسكيناً منخفض الطرف رازحاً آلاف السنين تحت نير الاستعمار الاجنبي ، لكننا لا نذهب بعيداً بل نقف بوثبات مخيلتنا عند الفتح التركي فقط ثم نعود الى الوراء حتى نصل الى العصر الحاضر كي نسأل هذا الزاعم : هل قام في هذه الفترة في بلادنا قائد كسان مرتين خلق من العدم بفضل ايمانه العظيم ، قوة جبارة لا تعرف الهوادة ولا الكلل ، حطمت ايادي المغتصبين وصدت هجمات الفاتحين المستعمرين . ؟ هل قام في بلادنا زعيم كسان مرتين ، قاسى مرارة الفقر والحرمان وعاش تجربته بثغر باسم وتلقى الاضطهادات والمصاعب رحب الصدر رابط الجأش حباً ببلاده ومواطنيه ، وقد كان بوسعه ان يقتني الجياد المطهمة ويبني القصور الشاهقة التي تغص بالخدم وتميد بالجواري والمحظيات . . ؟ هل قام في بلادنا رجل لا يغمض له جفن اذا بات احد مواطنيه على الطوى ؟ فلنقرأ كتاب الاغاني لندرك كيف كان يعيش خلفاء وزعماء العرب حياتهم الخاصة بين جدران قصورهم الحافلة بالعجائب والغرائب — هذا باستثناء افراد لا يقاس عليهم — ولننظر ايضاً كيف يعيش بعض حكامنا اليوم كأنهم ليسوا اعضاء في ذلك الجسم المتألم ، افلا يحق لنا بعد هذا ان نقف باجلال امام مآثر هذا القائد الخطير قائلين له كما قال الدكتور نقولا فياض للدكتور فانديك : « فلتبارك الى الابد ايها الرجل العظيم » .

نحن لا ننكر ما قام به احرارنا الوطنيون في العصرين الغابر والحاضر من جهود وتضحيات في سبيل البلاد لكننا ويا للاسف لا نزال ننظر بعين الوجد والشوق الى الافق البعيد مرتقبين انبثاق فجر جديد يطل علينا بكواكب جديدة بقادة مخلصين امثال سان مرتين يسيرون بهذه الامة التائهة المتخبطة في ظلام الضعف والتقهقر ، الى مستوى الامم الناهضة الآمنة الحرة !

ولقد سبق ان قلنا ان كتاب سان مرتين هو سيرة حياة محرر عظيم خدم بلاده بالتفاني والتضحية ونكران الذات ، فلسنا نقدر والحالة هذه ان نعطي فكرة صادقة عن ملاتيوس الخوري الا اذا قرأنا مقدمته في ثلاثة ابواب : « مسالك الارتقاء » « ابطال العصور » « واجب الشباب » فعندئذ ندرك عظمة الروح وجمال القلب عند هذا الكاتب الذى يتغنى بالكمال ، هذا الكمال الذي هو حلم الانسانية فلا ينحصر اذاً حنين ملاتيوس الخوري في دائرة معينة من الارض بل يتناول العالم المضطرب بأجمعه ، انه يريد الخير والاستقرار التام لبلاده ولسائر بلدان العالم ، انه يرقب بشوق وشغف ان تسود المحبة اللامحدودة ويخيم السلام على اقطار الارض ، فيفهم الناس انهم غرباء مسافرون في هذا الوجود ، لم يخلقوا للتناحر والتكالب بل خلقوا للتعاضد والتساند ليجعلوا من هذه الارض جنة غيناء ينعمون باطايبها ويقتسمون خيراتها تحت جو من المحبة والترفع والكمال .

يقول المؤلف : « ليس الاهم في كتاب يؤلف من ان يكون نافعاً مفيداً وما الكتاب المفيد الا ذلك الذى يقدم للناشئة امثلة بينة عن حياة قوية باساليب عملية ايجابية تنفيذية تساعدهم على تطبيق ما يرسمونه من خطط وتحقيق ما يطمحون اليه من آمال حية تخفق لها افئدتهم ويختلج بسببها دمهم في عروقهم ، ولا سيما اذا كان هذا الدم ممزوجاً بتيارات روحية تحمل قوة الزمن بمرورها من جديد في ربيع حياة امة عادت ، كالامة العربية ، الى اليقظة بعد سبات الشتاء الذي اجبرتها الاجيال بحكم شرائع الوجود ، الى المكوث فيه عصوراً نهضت خلالها شعوب اخرى بمدنيات جديدة تحتاج اليها الانسانية بارتقائها العتيد » . ثم يقول بموضع آخر :

« فحين كانت الامة العربية تتمتع بعصور صيفها وربيعها كانت شعوب اخرى تتقلب بين طيات خريفها وشتائها وتقتبس من المدينة العربية في ازدهارها ، عوامل ربيعها المقبل » .

نلمس في هذين المقطعين روح التفاؤل والايمان بمستقبل الشعوب العربية ، فهي لعمري فلسفة عميقة وعذوبة متناهية ان لا يندد الكاتب بابناء امته ، بل يحثهم على المضي في جهادهم معتمداً بذلك على شرائع الوجود وحكم التطور الازلي ، فكأني به يقول لنا : الحياة مد وجزر والنجاح ثبات وصبر ولا امة افضل من امة ، وما دام العقل البشري يفكر ويخترع ويجدد ، فلكل امة مكانتها تحت الشمس .

واخيراً نحن بحاجة ملحة الى امثال ملاتيوس الخوري ، بحاجة الى القلوب الجميلة الى الاخلاص والتضحية ، الى المحبة والايمان .

كولك - السنغال　　　　ادمون الفلفلي

آلام فرتر

للشاعر الالماني جوته – ترجمة نخلة ورد – ١٨٢ صفحة – ورق صقيل حجم متوسط – مطابع العلوم والآداب – دمشق

يبدو لنا كتاب « آلام فرتر » في حلته الجديدة لمترجمه الاستاذ الصديق نخلة ورد تحفة ادبية رائعة جديرة بان تزين المكتبات الخاصة والعامة ، وان يقرأها الشباب العربي المسيطر عليه الركود الفكري ، والمهيمن عليه القلق الوجداني .. هذا القلق المستحوذ للنفوس ، والمكتنف لافكار اكثر الكتاب من شعراء وادباء ناشئين كانوا ام عريقين .

لقد قرأت هذا المترجم مرات عديدة ، فوجدت فيه الترجمة الصادقة المعبرة تمام التعبير عما كان يختلج في نفس جوته من تأثيرات وانفعالات ، راعي الاستاذ ورد الصدق والامانة في نقل انطباعاتها واحساساتها ومشاعرها المختلجة في ذاته والناطقة بها صورته التي رسمها وخطها يراعه عن فرتر البائس .

لقد سبق لي ان قرأت تراجم اخرى لهذا المؤلف الثمين ، وكانت الاولى بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات ، والثانية صدرت عن دار الجيب وكان معربها على ما اذكر الاستاذ عمر عبد العزيز امين .

وليغفر لي القارىء اذا قلت باني لم اجد في كتاب الاستاذ ورد صنعة اللغة المتكلفة المنمقة التي طالعتها في كتاب استاذنا الزيات .

اما ترجمة الجيب فكانت عادية توخى مترجمها السرد القصصي العادي لا اكثر .

بيد اني لم اجد بين دفتي الكتاب الذي انا بسبيله سوى امانة في الترجمة ، وصدق في النقل ، وبراعة في الاسلوب ، وجزالة في الالفاظ ، وبساطة في الرواية ، وانغام تطفح بها العبارات الرقيقة ، والجمل الانيقة التي تدفع القارىء دفعاً لالتهامه ، وتغريه اغراء لقراءته .

وبعد لا يسعني في هذه العجالة الا ان اشكر الاستاذ ورد على هذا المجهود الطيب الذي قدمه لنا بترجمته نسخة (ديون) الاصلية لآلام فرتر في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى تراث فني خالد كهذا الكتاب عساه يزيل ظلام النفوس وآلامها .

دمشق صميم شريف

اليوم خمر

لمحمود تيمور – ٢٣٠ صفحة – حجم متوسط – دار المعارف – القاهرة

منذ اعوام ظهر للاستاذ محمود تيمور بك رواية بعنوان « حواء الخالدة » . وكانت تلك الرواية ايذاناً باتجاه جديد لفن المؤلف القصصي ، وقد عالج الاستاذ فيها حياة الشاعر العربي الجاهلي عنترة العبسي من زاوية جديدة مغايرة للزاوية التي اعتاد الادباء والمؤرخون وكتاب القصة التاريخية ان يسلطوا عليها اضواءهم . فاختار بعض الحوادث التاريخية التي قامت حياة الشاعر على اسسها وخلق البعض الآخر منها التي تكمل تلك الحياة وتهزها بطابعها الانساني العام الذي شاء ان يرسمه ، وقد تعرض في حينه لنقد طائفة من الكتاب الذين اخذوه على تجاوزه عن بعض الحوادث التاريخية المتصلة بحياة الشاعر وعدم اكتراثه بتقويم صورة واضحة المعالم لفنه الشعري ، وقد فات اولئك النقاد ان الاستاذ تيمور لم يكن مؤرخاً ولا ناقداً ادبياً وانه ليس من حقنا ان نطالبه بحرفية النصوص التاريخية المتعلقة بحياة بطل روايته ؛ فهو ليس الا روائي فنان . وللروائي الفنان طريقته الخاصة في علاج حياة الشخصيات التاريخية وتحليل وقائعها وبسط منازعها ، وهو في حدود عمله لا يرمي الى تقرير حقائق تاريخية ، بل يهدف الى تقديم نموذج بشري له مشاعره واحاسيسه وافكاره الخاصة التي أثمرتها ظروف بيئته .

اذا نقدنا اثر الاستاذ تيمور الجديد — اليوم خمر — على ضوء هذا الاعتبار لم يخطئنا التوفيق في الحكم ولم نجانب العدل في تقرير قيمته ضمن اعتبارات القصة الفنية ، والواقع انه قد سلك السبيل الذي اختطه لمعالجة حياة عنتر العبسي في روايته « حواء الخالدة » في عرضه لحياة امرىء القيس في روايته الجديدة ، فقدم لنا نموذجاً بشرياً خالداً من النماذج التي تزخر بها الحياة في كل زمن وعصر ، وبسط لنا العواطف التي ينبض بها قلبه والاحاسيس التي تختلج بها نفسه والافكار التي تصطرع في رأسه ، وقد اقام الاستاذ تيمور دعائم شخصية بطل القصة — واعني به امرأ القيس — على ركنين اساسيين :

الركن الاول يستند على العاطفة ، والعاطفة بطبيعتها تصطبغ بصبغة البيئة ، والمعروف عن البيئة البدوية انها تفرض على المرء ان يثأر للدم وان اقتضاه الثأر حياته ، وان ينصر اخاه على اعدائه وان دعاه ذلك الى التضحية بحياته ، وان يسعى وراء المجد شأن آبائه .

والركن الثاني الذي اقام المؤلف عليه دعائم شخصية البطل يعتمد على العقل ، والعقل بطبيعة خلقه دائم الثورة على قيود البيئة ، فالوليد يفتح عينيه على بيئة معينة ، فينقاد لعواطفها وعاداتها واحكامها . وتمر السنون ويشب جسمه وينمو عقله ، ثم لا يلبث هذا العقل حتى يستعرض مقتضيات البيئة في عين ناقدة . وهنا ينشب الصراع بين الانسان والبيئة . ويتشكل هذا الصراع ويتخذ شتى الوجوه والالوان باختلاف الشخصيات الانسانية وطريقة مواجهتها لذلك الصراع . وتلك هي قصة امرىء القيس في كتاب « اليوم خمر » فقد كانت البيئة تدعوه الى اتباع قانون ابناء رؤساء القبائل في نبذ اللهو وطلب المجد والامارة ، وتدفعه الى الثأر لمقتل ابيه ، وتلزمه بانقاذ ابناء قبيلته من بطش ملك الروم . وبينا وقف عقله حيال هذه الالتزامات ثائراً متمرداً عاتياً . لماذا يطلب المجد وينبذ اللهو ؟! ولماذا يثأر لابيه ويعرض نفسه للمخاطر ؟! ولماذا يجب عليه ان يسير على سنة اجداده ؟!

ويبسط لنا المؤلف صفحة تلك الحياة التي طواها امرؤ القيس وهو متأرجح بين نداء البيئة وصوت العقل . [مـ]ـرة ينحاز الى هذا وطوراً يتفق مع ذاك . فحين اطاع صوت عقله ونبذ المجد وانغمر في اللهو واتخذ الوجه المنبسط من الحياة ، قتل ابوه فارتفع بين اصداء نفسه نداء البيئة ، او على الاصح عاطفة البيئة ، تدعوه الى الثأر لمقتل ابيه . فاستجاب للنداء وارتمى في احضان الحرب والضرب والنزاع والنضال ، فحاز الانتصار تلو الانتصار ، وخفت صوت العقل في هذه الاثناء . لكنه لم يتلاشَ الى الابد ، بل ارتفع ثانية بمجرد ان تهيأت له الظروف عندما تخلت القبائل عن نصرة امرىء القيس وانهزم في معاركه ، عندئذ تعالى صوت العقل متمرداً على قيود البيئة متفلسفاً في طبيعة الحياة الغريبة . « اي غنم لمن يشقى جاهداً في سبيل هذه الحياة الدنيا ؟! اهداف يتخذها المرء لنفسه ، ولا يفتأ يرمي بهمته وعزيمته وراءها غير وان ولا ماول ، حاسباً انه اخذ بزمام أمره ، سيطر على الاحداث بقوته ، ناسياً ثمة قوة غلابة تعمل في الخفاء ، وتنظر الينا من حيث لا نراها مستهزأة ساخرة ، واذا هي على حين غفلة تبطش بطشتها الكبرى فيخر البناء وان كان كالطود الاشم ، ويهوى الصاعد وان طلع مطلع النجم » ؟!

انتصر صوت العقل فاجتذبه الى غمار اللهو ثانية ، وشد الرحال الى القسطنطينية بدافع داخلي في طلب اللهو ، ودافع خارجي في طلب المعونة الحربية — كما كان يحاول ان يخدع نفسه واصحابه — وهناك ارتمى بين احضان الغواني متناسياً الملك والثأر . لكن انتصار العقل لم يدم طويلاً . اذ ما عتم امرؤ القيس ان خضع لصوت عاطفة البيئة عندما قدم بعض اصحابه الى القسطنطينية وحاول القيصر ايذاءهم . فامتشق سيفه ودافع عنهم ضد جنود القيصر ويسر لهم سبيل الفرار ، ثم هرب معهم تاركاً وراءه حياة اللهو والعبث .

من هذا العرض المقتضب البسيط نستطيع ان نستشف الصراع العنيف الذي رسمه المؤلف لحياة امرىء القيس . وكل قارىء يدرك بالطبع ان تصوير حياة امرىء القيس في تلك الصورة الحية تمثل نموذجاً صادقاً لحياة اولئك الاشخاص الذين يتيهون في مسارب الحياة حائرين . تواجههم مقتضياتها ، وتصفعهم مفارقاتها ، وتكبلهم قيودها ، فتثور عقولهم محاولة التحرر من تلك الاغلال .

واعود الى القول بان خلق شخصية انسانية متفردة وتحليل نوازعها وخلجاتها وافكارها عبء كبير يضطلع به القصصي الفنان لا الكاتب المؤرخ ، وعلينا ان نطالب الاستاذ تيمور بايفاء حق ذلك العبء ولا شيء غيره . والا فماذا يجدي الادب القصصي ان يجمع لنا القاص حقائق تاريخه عن بطل قصته مبعثرة في الكتب ، ثم يقتصر على تنسيقها وترتيبها في اسلوب جميل وتعبير مهذب ؟!

اما العناصر الفنية الاخرى في القصة فقد توفرت فيها الى حد غير قليل ولست اريد ان اعلق بشيء على الاسلوب وعذوبته والعبارة ودقتها فهذه خصال يتصف بها الاستاذ تيمور في كل ما يكتب ، وان كان قد اتجه في بعض آثاره الى استعمال لغة حافلة بالكلمات (الشاخة !) التي تفسد صفاء اسلوبه المتدفق العذب ، ولكنني احب ان اقول كلمة في شخوص القصة .

على رأس تلك الشخوص امرؤ القيس ، فهو – كما ذكرت – بطل القصة . والواقع ان المؤلف وفق كل التوفيق في عرض الحوادث والمشاعر والافكار التي تصور حياته الجائرة . ولذا برزت شخصيته بثوب رائع وروح طاغية زاخرة بالحيوية . كما تجلى الجانب الفلسفي فيها بشكل عميق يبعث على التأمل والتفكير ويثير الاعجاب والتقدير .

اما شخوص القصة الآخرين فكانت اقرب الى الهزال منها الى القوة ، ما خلا شخصيتي « فاطمة » و « أبو زبيبة » اللتين اصابتا حظاً موفوراً من النجاح ، وفيما عدا ذلك لم اجد بين الشخصيات الاخرى من تستحق الاشادة وتستأهل الاعجاب .

وشيء آخر لا بد من ذكره هو ان فصول القصة لم تكن على نصيب متساو من القوة . فقد كان بعضها حافلا بالتأمل الفلسفي العميق في الكون والحياة ، في حين يكاد يكون البعض الآخر كلاماً عادياً . ولم يكن حظها من الربط بالذي تغبط عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يبدو لي ان قراءة هذه القصة افضل من تمثيلها ، لا لنقص فيها كقصة مسرحية ، بل لان جمهور المسرح المصري لايستسيغ مشاهدة امثال تلك التمثيليات التي تنحو منحى فلسفياً بأسلوب جدي . ولا بد لنا ان نعترف بان القليل من رواد المسرح المصري من يقدر هذا النوع من القصص حق قدرها ، ويخيل الي ان هذا الخاطر قد طرأ على ذهن المؤلف فحمله على خلق بعض الشخصيات الفكاهية التي لم يكن هناك موجب لخلقها ، كشخصية « حنظلة » مثلاً ، وان ينحو بقصته احياناً منحى فكاهياً

وكم تمنيت لو تجنب هذا المنحى الذي يتعارض وطابع القصة العام .

واحب ان اقول كلمة اخيرة في هذه القصة وفي موقف الفرقة المصرية منها . فقد شهدتها وهي تمثل على مسرح تلك الفرقة واشهد انني غادرت المسرح ونفسي تموج بعواطف الالم والحنق والرثاء ، فقد صدمتني استهانة الممثلين بأدوارهم وأداؤها في غير حماس ولا براعة ، ومرجع ذلك في رأيي الى عدم فهمهم لطبيعة ادوارهم اولا ، والى استخفافهم بواجبهم ثانياً . واهم من هذا وذاك ان الممثل الذي قام بدور امرىء القيس – وهو العمود الفقري للقصة – لم يكن صالحاً لاداء دوره على الاطلاق . وصحيح ان الاستاذ احمد علام ، الذي قام بذلك الدور ، ممثل قدير الا انه اخفق اخفاقاً ذريعاً في التعبير عن الحيرة والقلق الفكري اللذين ترتكز عليهما حياة امرىء القيس ، كما فشل في تمثيل دور المستهتر الماجن ، وكان يلقي دوره كأنه يتلو في كتاب دون ان تبين في صوته وعلى وجهه اية اختلاجات عاطفية ، ولعل الممثل الوحيد الذي ادى دوره في شيء من الاتقان كان الاستاذ فؤاد شفيق الذي قام بدور « ابو زبيبة » خادم امرىء القيس ، كما اصابت السيدة فردوس حسن قسطاً من التوفيق في تمثيل دور « فاطمة » ابنة عم امرىء القيس .

وكان يبدو واضحاً ان الاستاذ زكي طليمات قد بذل في اخراج القصة مجهوداً طيباً يستحق عليه كل ثناء وتقدير ، وان خذله الممثلون في كثير من الاحيان .

القاهرة

شاكر خصباك



جولة الأديب في شهر

من زوايا التاريخ الافريقي

ميمونا الساحرة

او آكلة الاطفال

لم تقف جماعات السحر والشعوذة في افريقيا السوداء، عند الخرافات والاكاذيب، التي ذكرتها لك ايها القارىء الكريم في عدد ماض من الاديب، فحسب، بل راحت تبالغ وتبالغ، وتدعي وتزعم ان لها علم الغيب والماضي المجهول، كما ان لها القدرة الخارقة على مسخ الكائنات البشرية واحالتها الى هررة وضفادع، او اماتتها باهون الطرق وايسر السبل، وكان الافريقيون آنذاك، جد معذورين ان يدخل الرعب الى نفوسهم ويجد الذعر في افئدتهم واعصابهم مكاناً، وان يسرعوا الى الخضوع لسلطان تلك الجماعات والافراد باباطيلها وخوارقها.

وطفقت جماعات السحر والشعوذة، منذ العهد الاول الذي برزت فيه، تسعى جهدها الى تكوين شخصيات لها موهوبات الجانب واحتفاظاً برسالتها المزعومة، كان لها من الطبيعي ان تنعزل عن الناس وتتخذ من المغاور والغابات البكر، القائمة منها على ضفات الانهر، والقريبة من البيوت الاهلة، مساكن لها وهذا ولا ريب، مما ساعدها على القيام بثورتها الفكرية — اذ صح لنا ان ندعوها كذلك — تلك الثورة التي تمخضت عنها عقلياتها المتناهية في السخافة والتائهة في بحور اللاحقيقة والوهمية.

وتنطوي من الحياة الافريقية صفحات لا اهمية لها ولا شأن، وتمر الشهور ثم تكر الاعوام، واذا بتلك الجماعات منتشرة هنا وهناك، في كثير من المناطق الافريقية، ثم تغدو عائلات لا يحق الا لمن انحدر من صلبها الانتماء اليها. واذا بالاكاذيب والاباطيل تصبح عادات وتقاليد يقدسها الافريقيون ويحترمونها ويتمشون عليها محتفظين بها كل الاحتفاظ، حذرين من ضياعها، فيحمل الزمن بين دفتيه الى ايامنا هذه آثاراً منقوشة عنها رغم المحاولات والجهود العديدة التي قامت وما فتئت تقوم بها الحركات الناهضة المسيحية والاسلامية معاً.

هذا ولست اقصد وانا احدثك ايها القارىء الكريم عن السحرة وخوارقهم الى ان احملك على الايمان بصدقها والاعتقاد بصحتها، فهذا امر اتركه لمنطقك السليم، وانما شئت ان اضع بين يديك صورة حقيقية، او شبه حقيقية، عن شعوب غريبة عنك، قضت علي الظروف ان اسلخ من عمري معها حياة، ولا اقول هنيئة، بل مليئة بالمغامرات والاهوال.

***

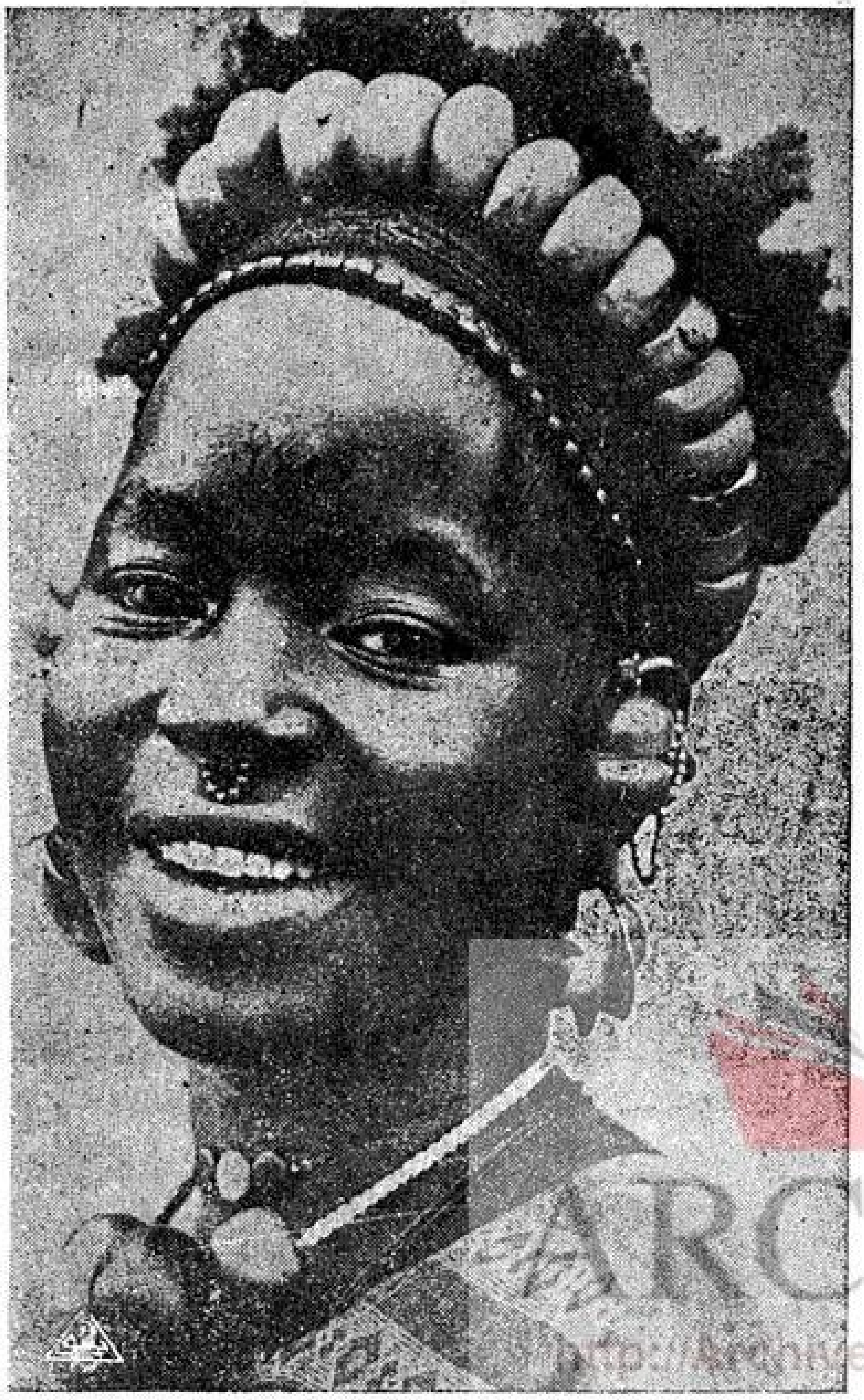
لعشر سنين خلت، عندما كنت في الشاطىء العاجي، كانت ميمونا كي من كبيرات عميلات محلي الكثرة ما كانت تبتاع منه من البضائع، وميمونا هذه هي زنجية لامعة السواد، مربوعة القامة، فطساء الانف، كل ما كنت اعلم عنها بادىء بدء انها داهومية الاصل عاجية المنشأ، راقصة بارعة محبة للرقص الى آخر حد، فكثيراً ما احيت من النهار ثلثه ومن الليل ثلثيه وهي ترقص وتهزج، وتغني وتمرح، تارة مؤتزرة بالقليل من الثياب وطوراً شبه عارية.. ثم علمت انها تزوجت بشيخ قبيلة « الاوشي » وهذا حلم كثيراً ما أملت ميمونا ان يتحقق.

وانطوت اعوام ثلاثة على زواج ميمونا، كانت هذه خلالها تزور محلي مرتين او اكثر كل اسبوع ثم انقطعت اخبارها عني ولم اعد ارى لها وجهاً، حتى دخل علي ذات يوم احد الزنوج واخبرني ان ميمونا كي هي من السحرة، وقد طلقها شيخ القبيلة بعد ان اوجس منها خيفة ورعباً.. هي العقلية الافريقية، التي احاول درسها في هذه السطور؛ وهي التي دفعت بشيخ القبيلة الى الاعتقاد في ان ميمونا كي ساحرة، وهل يرجى من اقوام خلقوا لعهد ما قبل المسيح ان يفكروا التفكير الصحيح؟.. هذا ولعل الوهم والمناسبات كان لها التأثير الاكبر والدافع الاول لوجود ذلك التفكير العقيم؛ ولله في خلقه شؤون.

***

دقات الطبل تتصاعد في الفضاء. وصوت « صمبا » المنادي الشبيه بتلك الدقات كان يتبعها، ذات صباح. انه يدعو اهل البلدة جميعهم للحضور الى دار الحكومسة. ولو لم يكن امر من

الاهمية بمكان لما سمعت البلد دقات الطبل ولا صوت صبا . لذلك لم يمض قليل وقت حتى كانت دار الحكومة تعج بالجموع التي كنت بينها . وشد ما كانت دهشتي حينما رأيت عميلتي المعلومة ميموناكي مكبلة بالقيد . لقد كانت في حالة غير التي عرفتها مرتجفة الاعصاب محمرة العينين سائلة اللعاب ، ترسل القهقهة بعد القهقهة وتتطلع الى هنا وهناك وتتفرس في هذا وهذه ، وفي ذاك وتلك ثم تردد بصوت متقطع : نعم .. انا اكلت اطفال هذا الرجل الثلاثة . فماذا تريدون ؟» وكان الرجل الذي تشير اليه ميمونا هو نفس شيخ القبيلة زوجها السابق .. وادعت ميمونا ان الذي دفعها الى فعلتها



ميموناكي بعد زواجها
بشيخ قبيلة الاوشي

ميموناكي بعد انتهائها من الرقص تغني
وهي واضعة يديها على خاصرتيها



تلك الانتقام من زوجات زوجها، لانهن كن اول من فضح امرها وحدون بشيخ القبيلة الى طلاقها . ولكن كيف يقر العقل الابيض بهذه الاكاذيب والاباطيل، انها ضرب من هباء بعيدة عن الصواب؟ . ذلك ما راح يفكر فيه حاكم البلد وذلك ما اوجد دواراً في رأسي وانا ارى واسمع حقيقة ما كنت اقول انه وهم وخرافات .. وكان من البديهي — اثباتاً لما تعترف به ميمونا — ان يتحقق الحاكم امر تلك الساحرة فأتى اليها بجلزون وباباي* وطلب منها ان تأكلهما كما اكلت الاطفال الثلاثة .. واخذت ميمونا تحدق النظر تارة في

* الباباي ثمر افريقي اشبه بالبعجور الاصفر

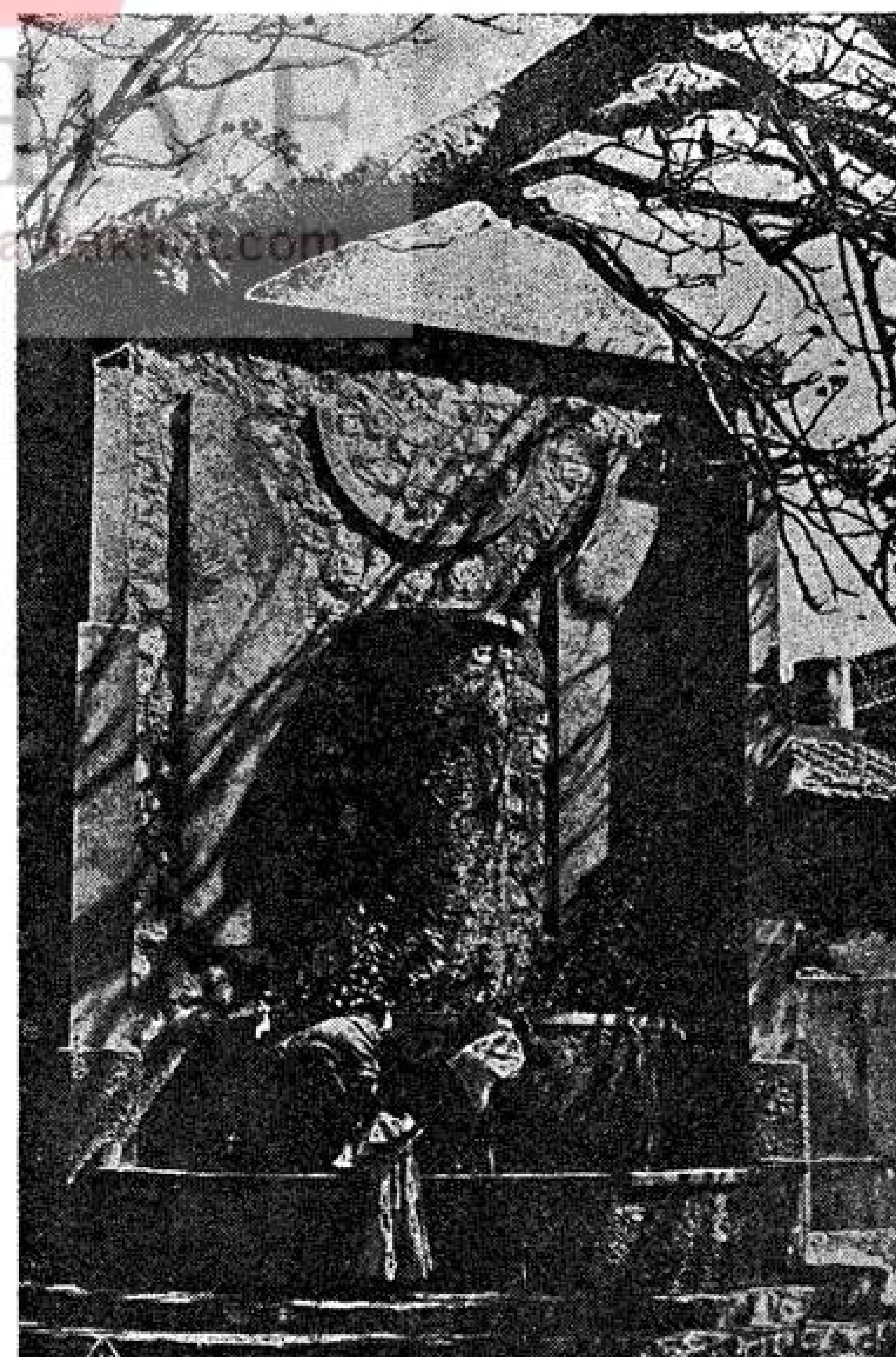
الحلزون، وتتفرس طوراً في الباباي، ثم ترفع رأسها الى العلاء تخفضه بعدها الى الارض، وهكذا لم تمض برهة حتى غدا الحلزون جلداً اجوف والباباي قشراً فارغاً . هذا وانا اتطلع ولا اصدق ما تراه عيناي . . وكانت نهاية حياة ميمونا رصاصات ثلاث خرقت صدرها فصرعتها للحال .

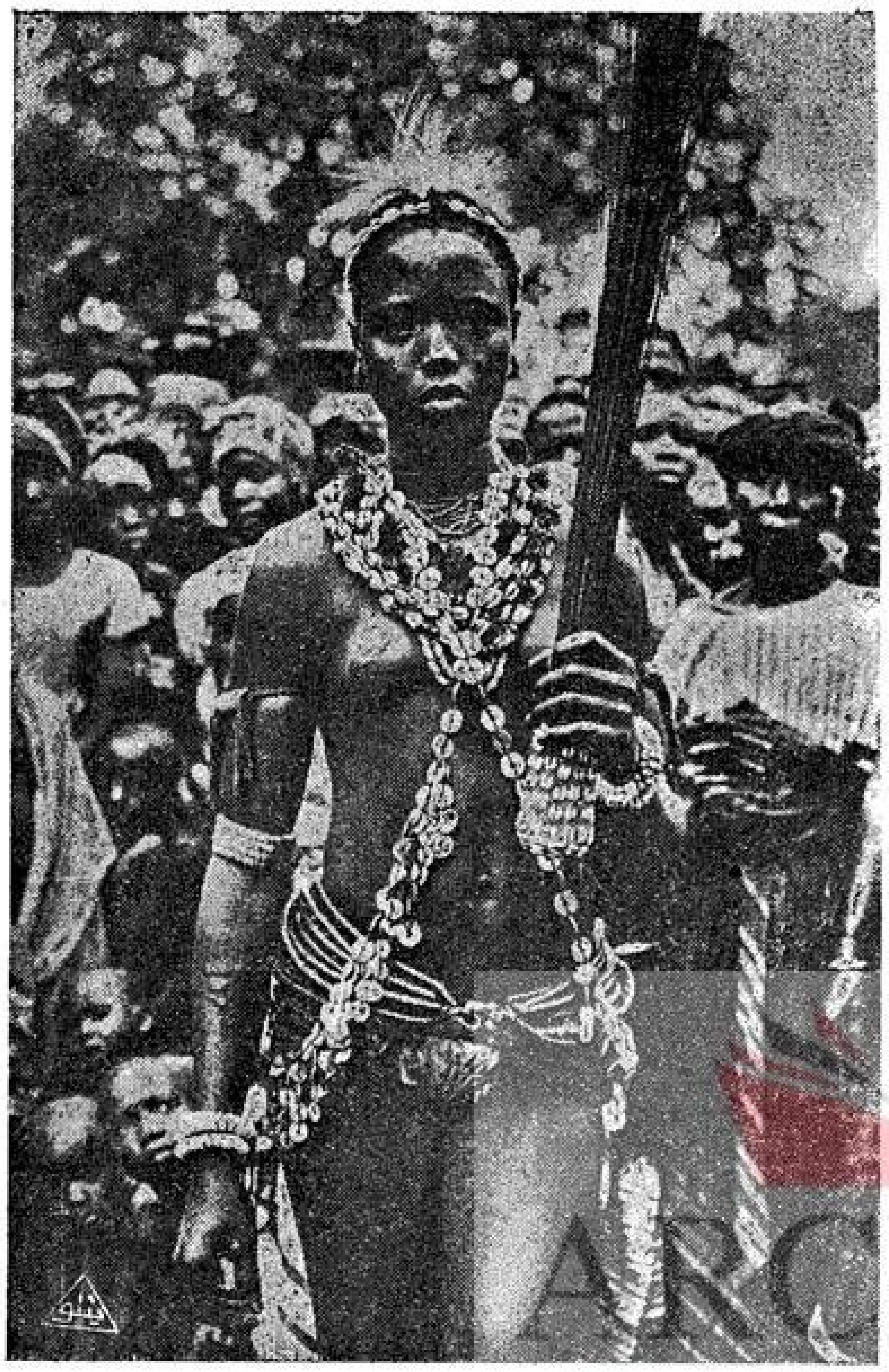
***

تلك قصة ميمونا الساحرة آكلة الاطفال، التي كنت وعدتك بها ايها القارىء الكريم، اقف عندها حائراً حقاً .

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

مأوى من مآوي السحرة حيث لا يحق لاحد غيرهم ان يدخل





وهذه ميمونا كي تستعد للرقص يحيط بها جمهور من المعجبين

الرواية المسرحية في الشرق

قد لا يفتقد الا القليل من ابناء الشرق ذلك الفن الرفيع الذي أفنى فيه الكثيرون من ابناء الغرب عصارة روحهم وفنهم . . فالمسرح بمعناه الفني لم يأنفه ابناء الشرق الى الآن رغم ذلك الاشعاع الفكري الطليق الذي يطوي الآفاق فيصلنا من منار الغرب البعيد فنهتدي بهديه ونضل بضلاله، فنحن لم نستكشف بعد روائع هذا الفن البعيد عن اجوائنا الشرقية رغم اثره الواسع العميق الذي يدفعنا لان نزيح تلك الغلالة الصفيقة التي حجبته عن اذهاننا المتفتحة امداً طويلاً . فالرواية

المسرحية بقسميها: المأساة «التراجيديا» والملهاة «الكوميديا» لا تزال في طور البداية وان اخذ بيدها منذ حين كتاب قلائل كان لهم الفضل في ازاحة هذا الستار الصقيل عن اذهاننا المحجوبة عن سحر هذا الفن الخالد الذي ولد مع الاغريق عندما كانوا يقيمون الاعياد والاهازيج لاله الخمر باكوس....!!

ومع ان القصة قطعت مسافات بعيدة في مضمار الكمال الفني نرى ان الرواية المسرحية لا تزال تعيش على هامش الحياة الادبية على الرغم من انها تعبر عن الواقع بصدق وتنفذ الى اعماق النفس بيسر ولين، فقد يختلف تأثير القصة من قارىء لآخر حسب انطلاق خياله او ضيق افقه، وقد يستعصي على الكثيرين فهم ما جاء بها من تلميحات ورموز وحتى ان بعض القراء يملون القصص الطويلة او المغرقة في الخيال الذي لا يصل الى بروجه العالية سواد الناس، اما الرواية المسرحية فتمسك بتلابيب النظارة بيدين قويتين، فهي كالقصة تخاطب خيالهم الذي يختلف سعة وانطلاقاً من شخص لآخر ولكنها بنفس الوقت تحاول ان ترقى بخيالهم القاصر الى الحد الذي تبغيه والذي يوائم جو الرواية، ويتم لها ذلك لوسائل عديدة لا تتوفر في القصة، فعوامل التشويق والجاذبية كثيرة في الرواية المسرحية فلحركات الممثل وادائه اثر هام في اظهار ما يبغيه المؤلف من افكار ومؤثرات فيساعد بذلك على خلق جو من التفاهم والايهام حسب ما يقتضي الموقف من هذا او ذاك.. وهكذا تتسلسل العقدة الروائية بشكل مثير جذاب، ولعل من ابرز ما تؤديه الحركات في خلق الجو الصالح للتعبير ما يظهر بجلاء في ميدان الرقص التمثيلي او التعبيري «الباليه» الذي يرمي الى الايحاء الواسع العميق بواسطة حركات شاعرية تفتح آفاقاً بعيدة واجواء جديدة لتعيش فيها افكار واساطير.. على الرغم من هذا كله نرى ان القصة اكثر انتشاراً واعم رواجاً بل واقرب الى النفس الشرقي من الرواية المسرحية المتشابكة بعناصرها الفنية ودعائمها الفكرية المختلفة وقد نتساءل بعد ذلك عن سبب هذا النقص الفني الكبير وعلى من يعود. وهل كان بسبب النظارة؟؟ أم بسبب المؤلفين المسرحيين بالشرق؟؟

قبل ان نبحث في هذا وذاك علينا بأن نذكر اثر النظارة وجوهم الفكري في بقاء المسرح بمعناه الفني المعروف.. فلا يكفي لاستمرار بقاء المسرح وجوده في مدينة كبيرة مزدحمة بالسكان اذ لا بد من ان يكون الى جانب ذلك مستوى فكرياً صالحاً لاستمرار هذا العمل الفني وبقائه.. وبهذا نكون قد وجدنا سبباً هاماً من اسباب هذا النقص الفني الكبير في ربوع الشرق.. فالمستوى الثقافي للنظارة هنا دون المستوى العادي، وعلى هذا فلن نرى عدداً كبيراً من رواد المسرح الذين يأتون اليه ليشاهدوا تمثيلاً رائعاً واداء فنياً موفقاً ومن ثم ليحكموا على مدى التوفيق في الحوار او الحبكة المسرحية او ليبدوا رأياً ما في سياق الرواية وكيفية عرضها.. فالمتعة الفنية الرفيعة لدى نظارة الشرق في حكم العدم تقريباً اذ كل ما يهمهم من الامر قصة شائقة تتالى حوادثها بشكل مثير ويتخللها اثناء ذلك مواقف عاطفية ومفاجآت.. اضف الى هذا ان «السينما» قد غزت الشرق التائه في احلامه في الوقت الذي بدأت فيه بواكير الانتاج المسرحي تظهر للوجود. واذا ما لاحظنا ما في «السينما» من انطلاق وحرية وتجديد وما فيها من مثيرات وغرائب يقف حيالها المتفرج الشرقي الغارق في ماضيه مشدوهاً ذاهلاً لما عجبنا لانصرافه اليها وانقطاعه لها.. فقد أطاحت «السينما» بوحدة الزمان والمكان اللذين غلا المسرح حيناً من الزمن وان احتفظت بوحدة العمل كشيء لا بد منه لذلك كان عملها واسع النطاق فأرضت بذلك الخيال الشرقي الحبيس في جنان الذكرى الخلود لاستهتارها بوحدة المكان وتمشيها مع القصة الطويلة والقصيرة على السواء اذ لم تحسب للزمان حساباً في ميدانها الطليق.. اضف الى هذا ذاك المجال الواسع الذي يسرته للمخرج والممثل مما لا يتيسر فوق خشبة المسرح.. وبعد هذا كله جاء انتاجها غزيراً وقنوعاً وبه كثير من عوامل التشويق والجاذبية فصرف الناس عن كل ما عداه..

وقد يتساءل البعض ويقول ان «موليير» و«راسين» و«كورناي» كل اولئك كانوا يلقون اقبالا وتمجيداً عظيمين على الرغم من رفعتهم الفنية وانحطاط المستوى الثقافي العام فكيف كتب للمسرح الفرنسي البقاء حتى شهد اضواء الحضارة؟؟ ولكن على اولئك ان يذكروا ان المسرح في «باريس» كان ذا طابع ارستقراطي نبيل اذ كانت ترعاه عناية النبلاء به واقبال المثقفين عليه حتى تيسر له ان يشهد اضواء الحضارة الجديدة.. اما الآن فالفن غدا ملكاً للجماهير ولا بقاء لمسرح ما دون عدد وفير من النظارة ليكفلوا له البقاء، يضاف الى هذا عامل نفسي مهم أدى الى عدم الاهتمام بالمسرح والعناية به في الشرق فالمسرح في الغرب فن له تاريخ ولهذا كانت له في نفوس الغربيين تلك الاصداء الحنون التي تستجيب لها ارواحهم في كل حين.. فالمسرح يؤلف جزءاً مهماً من التراث الفني في الغرب فكانت العناية به والاقبال عليه الآن كامتداد طبيعي لشيء موروث كاف مفكريهم عصارة روحهم وفنهم حتى حفظوا له البقاء، اما نحن هنا في الشرق فلا نزال نبحث عما يكمل اجواءنا الفنية

الناقصة من آفاق عديدة . فاننا لم نتعرف بعد الى روائع الفن المسرحي ولهذا كانت نظرتنا اليه كنظرتنا الى شيء غريب مجهول لا تخلو من عدم اهتمام او مبالاة ، اذ ليس له في نفوسنا صدى عميق مؤثر يدفعنا اليه فكيف لنا ان نقبل عليه اقبال الغربي العارف لقيمته. المقدر لرفعته وسموه . الراسخ في اعماقه منذ اجيال ؟؟

قد يقال اننا اخذنا قسماً واحداً من الرواية المسرحية وهو الملهاة « الكوميديا » فكثيراً ما نرى روايات مضحكة تمثل[1] امامنا بلغة عامية ونلاحظ بان الاقبال عليها يزداد يوماً بعد يوم دليلاً على اننا آخذون بتذوق هذا الفن الجديد ، ولكن هذا لن يعدو المرحلة البدائية للملهاة الفنية الرفيعة ذات اللغة السهلة العالية والتمثيل المتقن والاداء الصحيح . . وليس لنا في هذا المجال ان ننقد تلك اللغة العامية التي تضطرب على السن الممثلين هنا فالعمل لا يزال في بدايته ولا سبيل الى نقده الآن رغم ما يدعيه البعض من ان استعمال اللغة العامية في الروايات المسرحية معناه انتزاع صورة حقة من مجتمع انساني اصيل .

ولنعد الآن الى الدعامة الثابتة في بناء المسرح وهم المؤلفون المسرحيون فنرى بأنهم في الشرق قلة ولكنهم سيزدادون على مر الايام . . ونلاحظ ايضاً بان الانتاج المسرحي ضئيل نادر لانه عمل مرهق ويتطلب الماماً كبيراً بفن الحوار والحبكة المسرحية اللذين تقوم عليهما الرواية المسرحية بقسميها : الملهاة « الكوميديا » والمأساة « التراجيديا » وقد تقدمت المأساة اخيراً ببطء بعد طفرة لا بأس بها وهي تعالج الآن باتقان وبلغة عالية ولا يتصدى لها الا بعض كبار الكتاب المتمرسين في هذا الفن البعيد المنال، اما الملهاة فلم تخرج بعد الى المحيط الفني الرفيع فهي لا تزال تكتب باللغة العامية المتداولة وتمثل في المسارح الشعبية . . وعلى هذا فانتاجنا المسرحي اعرج يتعثر في مشيته ولكن لم لا تترجم روائع الغرب لنمثلها على مسارحنا في الشرق ان افترضنا قصوراً في انتاجنا الفني؟ ولكن علينا بان نذكر دوماً بانه حفظاً لبقاء المسرح لا بد من وجود عدد وفير من النظارة ومن ذوي ثقافة معينة لكي يتابع المسرح اداء رسالته العالية ، فالترجمة لن تفيد قليلاً او كثيراً لانها لن تبعث للاثر الفني الى خشبة المسرح بل انها ستبقيه على صحائف كتاب ثمين . وهكذا ستظل المسرحية في الشرق «مسرحية ذهنية» تقرأ بين دفتي كتاب وتمثل في ميدان الخاطر الشرقي الطليق الى ان يتهيأ ذلك الجو الصالح فيدفع بها الى خشبة المسرح . . فالمؤلف المسرحي يستطيع ان يخلق مسرحية رائعة ولكنه لن يستطيع ابداً ان يخلق نظارة تتذوق الفن وتعيش تحت ظلاله ريثما يسدل الستار عن الفصل الاخير . . !!

دمشق — ربيع الصلح

[1] في مصر

— بقية المنشور في صفحة ٦ —

شفتيها الملطختين وهي تقول .

— ماتزعلش . السجن احسن من الشوارع يا استاذ لمعي .

ولست ادري لماذا وانا في الطريق تذكرت فاطمة وقفزت الى ذهني صورتها وشعرت نحوها فجأة بشيء كثير من الاحتقار والكراهية والمقت مبعثه ذلك الاثم الذي ورطتني فيه .

ولما بلغت الدار صعدت الى غرفتي مباشرة واقبلت عليها مفكراً محزوناً وما ان ادرت المفتاح الصغير في رتاج الباب حتى رأيت فجأة آمال هانم في اعقابي تدلف اليها معي ، وكانت تعلو وجهها سحابة شاحبة ويكتنف جسدها الفني شيء من الاجهاد والاعياء كأنه خارج لساعته من ليل طويل مضن ووقفت قلقة تتحسس بعينيها ارجاء الغرفة ثم فجأة قفزت فرحة الى مكان معين من السرير وجلست عليه ثم غافلتني ودست شيئاً في يدها استطعت ان المحه من بعيد واعرف بانه سوار من الذهب كان قد سقط في عتمة الليل .

شيء واحد بعد ان انصرفت هو الذي حول عيني عن الصورة التي تبدلت خطوطها فجأة وغامت معالمها وانقلبت عيونها التي كانت تشع نوراً وطهراً الى ظلام دامس اكتنفها واغرق الجسد كله في بحر من السواد .

تلك هي الزجاجة الفارغة التي كانت بجوارها والتي تناولتها في رفق وضممتها الى صدري في حنان، ولما تسللت بها خفية ورحت اهبط الدرج على مهل قابلتني فاطمة وقالت ذاهلة وهي تنظر الى يدي القابضة عليها .

— الى اين . . ؟

فلم اجب لانني نفسي لم اكن اعرف الى اين . . ؟ ؟

القاهرة — امين يوسف غراب

أنباء العالم في شهر

٢٣ يونيو ١٩٥٠ — صرح لويس جونسون ناظر الدفاع الاميركي بان سلامة الولايات المتحدة تتوقف على طريقة محافظة اميركا على مراكزها بالشرق الاقصى .

٢٤ — حجب المجلس الوطني الفرنسي الثقة عن الحكومة التي يرأسها السيد بيدو .

٢٥ — هاجمت قوات كوريا الشمالية كوريا الجنوبية وتدور الآن معارك هامة .

— طلبت الولايات المتحدة عقد اجتماع فوري لمجلس الامن الدولي لبحث قضية كوريا .

— عقد مجلس الامن اجتماعاً فوق العادة بحضور جميع اعضائه باستثناء مندوب روسيا واتخذ قرارا بابلاغ كوريا الشمالية ضرورة وقف القتال في الحال وسحب قواتها الى داخل بلادها ومناشدة جميع الدول عدم مد كوريا الشمالية بالسلاح .

— احتلت قوات كوريا الشمالية عدة مدن مهمة وهي تزحف الآن نحو عاصمة الجنوب .

٢٦ — قدمت الوزارة الايرانية استقالتها وعهد الشاه الى الجنرال علي رادجمار رئيس اركان الحرب بتأليف الوزارة .

٢٧ — اصدر الرئيس ترومان اوامره للقوات الاميركية في الشرق الاقصى ان تقدم كل مساعدة لقوات كوريا الجنوبية . كما امر القوات الاميركية بمنع كل هجوم يشنه الصينيون الشيوعيون على فرموزا . كما قرر التعجيل بالمعونة الاميركية العسكرية الى القوات الفرنسية في الهند الصينية .

٢٨ — وافق الكونجرس الاميركي على تمديد قانون الخدمة العسكرية سنة كاملة .

— احتلت قوات كوريا الشمالية ساوول عاصمة الجنوب .

٢٩ — عاد الجنرال ماك ارثر الى مقر قيادته في اليابان بعد ان زار الجبهة في كوريا واشرف على تنظيم الاعمال العسكرية فيها .

٣٠ — جاء في الرد الروسي على المذكرة الاميركية باستخدام ما تتمتع به من نفوذ في كوريا الشمالية لوقف الحرب ان الاتحاد السوفياتي عملاً بسياسته التقليدية لا يتدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة والقى السوفيات تبعة الحرب على كوريا الجنوبية والذين يقفون وراءها ويساندونها .

— اصدر الرئيس ترومان امره الى القوات البرية الاميركية بخوض القتال في كوريا كما اعلن الحصار البحري على طول الساحل الكوري .

اول يوليو ١٩٥٠ — صرح ستراتشي وزير الحربية البريطانية قائلاً ان الحرب في كوريا لا تعني نشوب الحرب العالمية .

— اعلن مندوب مصر في مجلس الامن ان حكومته قررت الامتناع عن التصويت على قرار المجلس الخاص بمنح مساعدة عسكرية لكوريا وهي تقف موقف الحياد .

٢ — الف هنري كاي الزعيم الراديكالي الوزارة الفرنسية .

٣ — ما تزال قوات كوريا الشمالية تواصل زحفها على طول الجبهة وقد طوقت سووان وتشيشون .

— اجتمع خبراء الدول الغربية وتشاوروا في ضرورة تخفيف قيود الاحتلال بالمانيا واعلنت فرنسا بانها ستتقدم باقتراحات عاجلة لان الحالة الدولية دقيقة .

٤ — حجبت الجمعية الفرنسية الوطنية الثقة عن وزارة هنري كاي الجديدة .

٥ — تواصل قوات كوريا الشمالية تقدمها وقد تمكنت من شطر القوات الاميركية وطوقت بعض مراكزها .

٦ — اذاعت وكالة « تاس » ان عدد المتطوعين الروس في قوات كوريا الشمالية بلغ ٣٠ الفاً وعدد الاسماء المسجلة للتطوع زاد عن ١١٥ الف رجل .

٧ — رفضت روسيا المذكرة الاميركية المتعلقة بالحصار البحري على كوريا .

٨ — اصدر الرئيس ترومان امره بتنفيذ قانون التعبئة العامة .

٩ — عين الرئيس ترومان الجنرال ماك ارثر قائداً على قوات الامم المتحدة المحاربة في كوريا .

— سقطت مدينة شونان في ايدي قوات كوريا الشمالية وتراجع الاميركيون وقتل ضابطهم قائد المعركة .

١٠ — تلقى الجنرال لين بياو قائد الجيش الرابع في الصين امراً بنقل قواته الى الشمال استعدادا للاشتراك في الحرب الكورية اذا دعت الضرورة .

١١ — بلغت القوات الكورية الشمالية نهر كوم بعد معركة حامية . وتدور معارك دبابات كبيرة مع الاميركيين جنوب شونان .

١٢ — تحركت القوات البلغارية على الحدود اليوغسلافية وقد فرضت يوغسلافية نظام منع التجول على طول تلك الحدود .

— الف رينه بليفن الوزارة الفرنسية .

— تواصل قوات كوريا الشمالية تقدمها وقد انسحب الاميركيون الى الضفة الجنوبية لنهر كوم .

١٣ — وصل الى الاسكندرية الماريشال سليم رئيس هيئة اركان الحرب البريطانية واستأنف المحادثات السياسية والعسكرية مع الحكومة المصرية .

١٤ — استطاعت قوات كوريا الشمالية عبور نهر كوم مخترقة اجهزة الدفاع والخطوط الاميركية .

١٥ — قدمت الحكومة اليوغسلافية مذكرة احتجاج الى الحكومة البلغارية على انتهاك جنود بلغاريا الحدود ولعدم تكرار الاعمال الاستفزازية .

١٧ — انتهت معركة « كوم » في كوريا الجنوبية وبدأت معركة « تايجون » العاصمة الموقتة للجنوبيين وقد تخلى الاميركان عن معظم اقسامها .

١٩ — اعلنت القيادة العليا الاميركية عن وجود ضباط سوفيات بمثابة مستشارين بين القوات الشمالية الكورية .

٢٠ — سقطت مدينة تايجون بايدي قوات كوريا الشمالية .

٢١ — استعادت قوات كوريا الجنوبية يشون وهي عقدة مواصلات حديدية هامة .

٢٢ — يقول بلاغ الجنرال ماك ارثر ان القوات الاميركية ما تزال محافظة على مراكزها جنوب شرقي تايجون .

— وتقول بلاغات الشماليين ان قواتهم تواصل زحفها مخترقة خط الدفاع الاميركي .

— عاد الملك ليوبولد الى عرش بلجيكا .

٢٤ — استعادت القوات الشمالية مدينة تايجون واستولت على مدينة سونج جو